جامعة زيان عاشور– الجلفة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ وعلم الآثار

مطبوعة خاصة بمقياس : الحركات المذهبية في الغرب الإسلامي

محاضرات في الحركات المذهبية في الغرب الإسلامي

دروس موجهة إلى طلبة السنة االأولى ماستر ، تخصص : تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

السداسي: 1 الرصيد: 5 المعامل: 2 التقييم: أعمال موجهة+امتحان

إعداد : د/ جباري مسعود
أستاذ محاضر أ

السنة الجامعة : 1443 – 1444 هـ / 2022 – 2023 م

معلومات المقياس

عنوان الماستر: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

السداسي: الأول

اسم الوحدة: وحدات التعليم الأساسية

اسم المادة: الحركات المذهبية في الغرب الإسلامي

الرصيد: 05

المعامل: 02

أهداف التعليم: (*ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر*)

- التعرف على الحركات المذهبية التي انتشرت ببلاد الغرب الإسلامي وتفاعلاتها التي أدت في الأخير إلى سيادة المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والسلوك الصوفي.

المعارف المسبقة المطلوبة: (*وصف تفصيلي للمعارف المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر*).

- تمكين الطالب من الربط بين الوقائع السياسية ومنطلقاتها المذهبية، وما ترتب عنها حراك فكري.
- تهدف هذه المادة إلى تعريف الطالب بالتيارات الفكرية والمذهبية التي عرفتها بلاد المغرب والأندلس، والتي كانت في غالبها وافدة من المشرق الإسلامي، مما يسمح له بتكوين خلفية معرفية يستطيع من خلالها تفسير العديد من المظاهر السياسية والاجتماعية.

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطالب)

- بعثة الفقهاء العشرة ودورها في انتشار الاسلام بعد الفتوحات.

- انتشار المذهبين الصفري والاباضي ببلاد المغرب (الدعوة، الثورة، الدولة)
- المعتزلة ببلاد المغرب.
- المذهب الاسماعيلي من الدعوة إلى الدولة.
- المذهب المالكي (دخوله وانتشاره ونضاله ضد المذاهب الأخرى)
- المذهب الظاهري ببلاد المغرب.
- المذهب الموحدي.
- العقيدة الأشعرية وانتشارها ببلاد المغرب

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة، امتحان....إلخ (يُترك الترجيح للسلطة التقديرية لفريق التكوين)

- امتحان كتابي في نهاية السداسي، أعمال موجهة.
- تقويم النظري على مستوى المحاضرات (**امتحان كتابي في نهاية السداسي**) والتقويم المستمر للأعمال الأعمال الموجهة.

المصادر : (*كتب، ومطبوعات ، مواقع انترنت*، إلخ)

- ابن خلدون، ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات محمد عليّ بيضون، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ/2003م.
- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب

- المالكي، أبو بكر عبد الله (توفي في القرن 5هـ/11م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحققه بشير البكوش، وراجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1403هـ/1983م.

- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة.

- القاضي النعمان، المجالس والمسارات.

- ابن الصغير المالكي (ق3هـ/ 10م)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب، بيروت، 1986م.

- ابن فرحون المالكي (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العربية، بيروت الطبعة الأولى، 1996.

- البغدادي عبد القاهر (ت 429هـ) الفرق بين الفرق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.

- البغدادي عبد القاهر، كتاب الملل والنحل، تحقيق ألبير نصري نادر، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الثانية 1983.

- التنبكتي أحمد بابا (ت 1036هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج – طبع على هامش كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون اليعمري (ت 799هـ) – دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

- الدرجيني (ت 670هـ)، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاّي، مطبعة البعث، قسنطينة، بدون تاريخ.

- الشاطبي (ت 790هـ)، الموافقات في أصول الأحكام، (مجلدان – أربعة أجزاء)، تحقيق محمد حسنين مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مكان وتاريخ الطبع غير مذكورين.

- الشماخي (ت928هـ/1522م)، السير، تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2009م.

- الشهرستاني (ت 548هـ)، الملل والنحل (ثلاثة أجزاء)، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، 1968. [والجزء الأول والثاني ضمن مجلد واحد، تحقيق أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.

- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس (1965م).

- **المراجع** :

- مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص، ط(1418هـ/1997م)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية.

- ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (د.ت).

- نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس(2004م)

- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1978.

- بنسالم حميش، التشكلات الأيديولوجية في الإسلام (الاجتهادات والتاريخ)، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1993

- مجدوب عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، دار ابن سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2008م.

- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د/ط، 1984م.

- روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية- تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م.

- بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي.

- محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية ببلاد المغرب، جزئين ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،1985.

- الغبريني: عنوان الدراية.

- محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ،دار الثقافة ،1985.

مقدمة

بعد بعثة النبي محمد صلى الله عليه و سلم و دخول مجموعة كبيرة من العرب الإسلام ، بقناعات عقدية و فكرية عميقة و صلبة لا يخالجها الريب و لا يمازجها الشك ، و بعد انتقال النبي صلى الله عليه و سلم إلى الرفيق الأعلى ، وبداية الخلافة الراشدة بسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ودخول شعوب و قوميات و أهل ديانات أخرى الإسلام سواء بقناعة ذاتية قوية ، أو لأسباب أخرى ، فإن الفكر الإسلامي و بعد تأصيلاته الأصيلة ، خاصة في القرآن الكريم ، رأت مجموعة من أبناء هذه الشعوب أن الأمور تحتاج إلى نظر في مجموعة من القضايا الفكرية ، كما أن الثلث الثالث من الخلافة الراشدة شهدت كذلك مجموعة من التجاذبات الفكرية إلى حد الاقتتال الداخلي بين المسلمين ، و قد كان لمصادر الإسلام دور في تخفيض الحدة التي شهدتها بعض الأفكار المتشددة ، إلا أن طبيعة الأنفس البشرية و الفهومات العقلية رأت بأن فهمها هو الأصلي والحقيقي و أن الفهومات الأخرى ليست من القيم الدينية التي يدعو إليها الإسلام ... و هكذا ظهرت مجموعة من الأفكار المتداخلة و المتباينة ، بل و المتناقضة في نهاية الخلافة الراشدة ، و خاصة في زمن سيدنا علي رضي الله عنه .

و تطورت هذه الأفكار في خلافة بني أمية و خاصة في نهاية القرن الأول الهجري ، و ازدادت بعضها حدة في الخلافة العباسية و بدرجة أخص بعد ترجمة الفلسفات الأخرى غير الإسلامية ، و استطاعت مجموعة من الأفكار بفعل قوة حامليها و العصبية التي ينتمون إليها من تأسيس دول إسلامية ، و قد كان لبعض هذه الأفكار تأثير واضح على المسلمين ، أفراد و جماعات و دول ، بل و بقي بعضها قائما إلى الآن ، و هذا بفضل ما تتمتع به من قوة التأصيل الديني ، و كذا من خلال مؤسسيها ، إن على مستوى التنظير أو على مستوى العمل و السلوك .

إن مختلف الأفكار التي ظهرت في البلاد الإسلامية مشرقيا و مغربيا حملت بين طياتها محاولات لتطبيق القيم و المفاهيم التي جاء بها الإسلام قرآنا و سنة ، وفعلا ، كما كان لبعضها جوانب من التشدد و التطرف ، كان لبعضها الآخر إقناعا لمجموعة من شعوب و جماعات و ديانات أخرى ، و لهذا حوت الحضارة الإسلامية مختلف الديانات و الأعراق و الثقافات سواء الإسلامية منها أو غير الإسلامية ، وكانت بحق ملاذا للإنسانية جمعاء .

البعثة العمرية

لقد دأب بعض الفاتحين العرب القادمين لفتح بلاد المغرب على أن يصطحبوا معهم نفرا من الفقهاء و القراء من أعيان التابعين يعلمون الناس أمور دينهم . قام بمثل هذا العمل موسى بن نصير حينما ترك مع طارق بن زياد 17 رجلا يعلمون الناس أمور دينهم ، و قبله حسان بن نعمان الذي كانت له سياسة مدنية كتنظيم البلاد إداريا و ماليا و جعل اللغة العربية لغة رسمية ، و يدخل في هذه السياسية عملية نشر الإسلام بالدعوة لا بالحرب ، وقد وزع الفقهاء في مختلف أنحاء البلاد التي دانت للعرب لتعليم الناس قواعد الإسلام ، و استمال المسلمون البربر إليه [1] ، و مع ذلك بقي جزء من البربر لم يفهموا الإسلام فهما سليما ، بدليل أن هناك من كان لا يرى بحرمة شرب الخمر... كما بقي جزء آخر على عقائدهم السابقة ... وهكذا و عندما أصبحت الخلافة بيد الخليفة الراتشد عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه سنة 99هـ / 717م ، أرسل كذلك إلى إفريقيا عشرة من العلماء ، كان على رأسهم إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر بن دينار ، الذي أسندت إليه الولاية[2] كذلك ، فقام هؤلاء بنشر قيم و تعاليم الإسلام السمحة حتى دخل جزء كبير

1 – عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، ج 1 ص 162

2 – أ.د/ عبد الرحمن حسين العزاوي : تاريخ الكغرب العربي في العصر الإسلامي ، ص 46

كذلك من البربر الإسلام و اقتنعوا به عقيدة و شريعة و أخلاقا . و على هذا فقد نظر عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه إلى رقعة من العالم الإسلامي و التي كان عقبة بن نافع قد جعل فيها (قيروانـــا لعز الإسلام إلى آخر الدهـر) و كأنه قد لاحظ أن شيوع الإسلام فيها لم يكن إلا أمرا سطحيا ، فأراد أن يمد هذا المجتمع بمادة منعشة تثريه ثراءا يدفع عنه العمل و المحل ، فاختار تلك البعثة من التابعين[1] ليقوموا بهذا الدور.

تعريف البعثة العمرية :

هي تلك البعثة التي اختارها الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه المتصفة بالعلم و الفضل و من التابعين برئاسة والي إفريقية إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر بن دينار لتفقيه أهل المغرب الدين و بث العلم و تعليم الحلال و الحرام و الحرص على بث دعوة الإسلام بين البربر[2].

1 – محمد الفاضل بن عاشور : أعلام الفكر و أركان النهضة بالمغرب العربي ص30

2 – لقد ضرب هؤلاء العلماء التابعون المثل في العدل و الحق و الرحمة و السيرة الصالحة . فكان إسلام البربر مهنيا من آثار هذه البعثة الكريمة و من مفاخر خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه الذي انتدبها .

محمد الفاضل بن عاشور : أعلام الفكر و أركان النهضة بالمغرب العربي ، ص30

أعضاء البعثة العمرية [1] :

– أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي رحمه الله تعالى : كان من أهل الدين والزهد. روى عن عبد الله بن عمرو وفضالة بن عبيد، و روى عن جماعة من التابعين ، و روى عنه : الأوزاعي و سعيد بن عبد العزيز و ابن أنعم . و استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل أفريقية ليحكم بينهم بكتاب الله عز وجل ، و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ، ويفقههم في الدين . سكن القيروان و سار في المسلمين بالحق والعدل ، و علمهم السنن ، و أسلم على يديه خلق كثير من البربر. كانت وفاته بالقيروان سنة 132هـ.

– إسماعيل بن عبيد الأنصاري رضي الله تعالى عنه ، مولى لهم ، يعرف بتاجر الله، من أهل الفضل و العبادة و النسك و الإرادة كثير الصدقة و المعروف مع علم و فقه ، صحب جماعة من الصحابة و روى عنهم، و هم : عبد الله بن عمر و عبد

---

1 – أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي : كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وسيرهم، تحقيق: بشير بكوش ،ج 1 ص99 ... 118

و أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي ، الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، علق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي ، ج1 ص180 و ما بعدها.

ولقد اهتم كذلك الشيخ الدباغ في كتابه " معالم الإيمان " بإيراد تراجم العلماء العشرة و التنصيص في كل ترجمة على أن المترجم له كان أحد الفقهاء التابعين العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز يفقهون أهل إفريقية . انظر الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي ، الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، علق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي ، ج 1 ص180 و ما بعدها

محمد الفاضل بن عاشور : أعلام الفكر و أركان النهضة بالمغرب العربي ، ص31

الله بن عباس و عبد الله بن عمرو بن العاص ، وروى عنه من أهل إفريقية : بكر بن سوادة الجذامي و عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، و روى عنه من أهل مصر : عمران بن عوف العافقي و الحارث بن يزيد و عبيد الله بن جعفر. انتفع به خلق كثير من أهل إفريقية وغيرهم ، و بث فيها علما كثيرا .

– أبو عبد الرحمن الحبلي واسمه عبد الله بن يزيد المعافري : وكان رجلا صالحا فاضلا يروي عن جماعة من الصحابة منهم أبو أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر وعقبة بن عامر و فضالة بن عبيد وغيرهم ، روى عنه جماعة من العلماء وأدخله المصنفون في كتبهم .

بعثه عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه إلى إفريقية ليفقههم في الدين ، فانتفع به أهل إفريقية وبث فيها علما كثيرا ، وتوفي بالقيروان سنة 100هـ ، ودفن بباب تونس .

– أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي ري الله تعالى عنه ، كان رجلا فاضلا مشهورا بالدين والفضل ، قليل الهيبة للملوك في حق يقوله ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، صحب جماعة من الصحابة وروى عنهم منهم : أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه ، وروى عنه جماعة منهم : عبد الرحمن بن زياد بن أنعم .

– موهب بن حي المعافري رضي الله تعالى عنه : صحب ابن عباس و روى عنه و عن غيره من الصحابة ، كان من أهل الفضل و الدين . سكن القيروان و بث فيها العلم ، و فيها كانت وفاته.

– حبان بن أبي جبلة القرشي رضي الله تعالى عنه : من أهل الفضل و الدين ، روى عن جماعة من الصحابة ، منهم : عبد الله بن عباس و عمرو بن العاص وولده عبد الله . روى عنه : ابن أنعم و أبو شيبة عبد الرحمن بن يحيى الصدفي وعبيد الله بن زحر. سكن القيروا ن و انتفع به أهلها . توفي سنة 125هـ.

– أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي رضي الله تعالى عنه : كان رجلا فاضلا جليلا، روى عن جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، منهم : عقبة بن عامر و سهل بن سعد الساعدي و سفيان بن وهب الخولاني و أبو ثور الفهمي ، و روى عن جماعة من التابعين منهم : سعيد بن المسيب و ابن شهاب الزهري . كان فقيها مفتيا ، سكن القيروان و كانت وفاته بها سنة 128هـ رحمه الله تعالى.

– أبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير بن اليثوب رحمه الله تعالى : كان من التابعين . يروي عن أبي تميم الجيشاني (عبد الله بن مالك) . و روى عنه بكر بن

سوادة و ابن زحم و ابن أنعم . ولي قضاء الجند بإفريقية في عهد هشام بن عبد الملك ، كان أحد القراء الفقهاء ، وتوفي أول خلافة هشام .

– طلق بن جابان و يقال ابن جعبان ، الفارسي رضي الله تعالى عنه ، كان من التابعين ، يروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن (و أبو سلمة من التابعين) . روى عنه موسى بن علي و عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، و روى عنه من أهل مصر سعيد بن أبي أيوب .

– أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي رضي الله تعالى عنه : من فضلاء المؤمنين ، روى عن جماعة ، و روى عنه جماعة ، سكن القيروان و انتفع به خلق كثير ، و هو أول من استقضي بها بعد فتحها . توفي بالقيروان سنة 123هـ.

إننا إذا تأملنا في أعضاء هذه البعثة وجدنا أن أفرادها قد جمعوا من أسباب مختلفة ، من المهاجرين و الأنصار ، و من العدنانية و القحطانية ، و من الصريح والموالي ، و من العرب و العجم ، فلم يجمعهم إلا الوصف في الفقه في الدين ، فكانوا بذلك آباء روحانيين للأجيال الإسلامية الصاعدة ، و أصول أسباب موصولة في الإسلام بأقوى من أواصر الأرحام ، فبهم انتشرت المساجد ، و عم تغيير المنكر، و شاع القرآن و الحديث و الفقه ، و استقامت سيرة الناس على الآداب

الشرعية ، و أصبح الذين يدخلون القيروان من البربر لحاجات معاشاتهم ، أو لمصالح الحكم و الإدارة ينقلبون بمثل عالية و معلومات واضحة عن أحكام الإسلام و نظمه و آدابه ، فيصبحون دعاة و هداة بين قبائلهم ، زيادة على المرشدين والمعلمين الذين انتشروا في البلاد مستقرين و متنقلين[1].

أهداف البعثة العمرية :

لقد هدفت هذه البعثة العمرية للوصول إلى مجموعة من القضايا [2] :

– بيان حقائق و تعاليم و قيم الإسلام كما جاء بها النبي محمد صلى الله عليه و سلم [3] ، مع إظهار العقيدة الإسلامية السليمة و كذا جوانب الحلال و الحرام في الإسلام [1].

---

1 – محمد الفاضل بن عاشور : أعلام الفكر و أركان النهضة بالمغرب العربي، ص31–32

2 – لقد أوصى الخليفة عمر بن عبد العزيز واليه إسماعيل بن عبيد الله و من معه ببذل كل ما يملكون من جهد في سبيل إسلام البربر ، و يبدو أن هذه البعثة كانت على إسلام وثيق و إيمان ثابت بالوصول إلى إسلام البربر فعلا ، و هذا الذي تم . خاصة و أن سياسة عمر بن عبد العزيز بعد توليه الخلافة تنحو إلى نشر الإسلام و إدخال رعيته كلهم في رحابه .

د/ حسين مؤنس : فتح العرب لبلاد البربر ، ص295–296

يصف "الدباغ" الوالي إسماعيل بن عبيد الله في كتابه "معالم الإيمان" ج1 ص154 بأنه : "كان فقيها صالحا فاضلا زاهدا" .

3 – تتفق المراجع على أن إسماعيل بن عبيد الله دعا من بقي إلى البربر إلى دين الإسلام و أنه كان خير وال ، و كان حريصا على دعوة البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقية البربر على يديه في عهد عمر بن عبد العزيز .

د/ حسين مؤنس : فتح العرب لبلاد المغرب ، ص195

– تعليم و تربية أفراد المجتمع الذي سينتمي إلى الإسلام [2] ، و خاصة البربر الذين هم السكان الأصليون لبلاد المغرب .

– تحفيظ مجتمع البربر القرآن الكريم و بيان السنة النبوية الشريفة ، مع تعريفهم هذه المصادر باللغة العربية [3] ، التي هي لغة القرآن .

– إشاعة روح التآخي و الترابط و المحبة التي جاء بها الإسلام لكل أبناء المجتمع الذين ينتمون إلى الإسلام .

– تكوين طلبة و تلاميذ يحملون مشعل الهداية و التربية و العلم و التثقيف الديني لكل أبناء المجتمع .

---

1 – يقول ابن عذارى : "أنه [إسماعيل بن عبيد الله]علم أهل إفريقية الحلال و الحرام" .

ابن عذارى : البيان المغرب...، ج1 ص34

2 – بقول البلاذري : "و أنه [إسماعيل بن عبيد الله] لم يزل حريصا على دعاء البربر للإسلام حتى تم دينهم على يده".

البلاذري : الاستقصاء ، ص46

3 – انظر مثلا عبد الكرين غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، ج1 ص 191–192

وسائل البعثة العمرية :

لقد اعتمد هؤلاء العلماء في نشر تعاليم الإسلام و هداية البربر إليه ، على مجموعة من الوسائل ، منها :

- **المساجد :** لم يكن المسجد بيت صلاة و حسب ، و لكنه كان بيت قراءة و تعليم كذلك ، فمنذ أن تم إنشاء مسجد القيروان [1] ما بين سنتي 50هـ و 55هـ على باني المدينة عقبة بن نافع ، تأصل كذلك بناء المساجد في كل مدينة أو قرية فتحها المسلمون أو بنوها ، و لذلك فقد اهتمت أيضا البعثة العمرية ببناء المساجد كذلك [2]، و هكذا تحولت هذه المساجد إلى مدارس علمية ، ثم تلتها رباطات جهادية وعلمية[3]، فكانت بالتالي موئلا للتربية و التوجيه و الإرشاد و التثقيف الديني وتعليم البربر حقائق الدين الأصلية بسماحة و رحمة و محبة . و ارتبط بيان حقائق الإسلام

---

1 – لقد كان جامع القيروان إضافة إلى ذلك معسكرا و معبدا .

د/ موسى لقبال : المغرب الإسلامي ، ص134

2 – إن معظم أعضاء البعثة العمرية أقاموا بالقيروان ، حيث ابتنوا مساجد يعلمون فيها الإسلام . و من هذه المساجد مثلا مسجد "الرباطي" بناه "أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري" ، و جامع "الزيتونة" الذي بناه إسماعيل بن عبيد الله .

حسين مؤنس : فتح العرب لبلاد المغرب ، ص296

3 – عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، ج1 ص186

وتعاليمه أيضا بتعليم اللغة العربية لأنها لسان الإسلام ، و هكذا (يأتي تعريب اللسان مع تعريب الإنسان) [1].

لقد بقي أغلب هؤلاء التابعين بقوا في إفريقية عاكفين على أهدافهم السامية حتى توفاهم الله تعالى ، إذ تمكن بعضهم من بناء مساجد كانت تقام فيها حلقات التدريس و الافتاء و مجالس القضاء ، و أهمها مسجد الزيتونة الذي ينسب لإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، ومسجد الحبلي[2] ... ، و هكذا أصبح بناء المساجد على كثرتها تقليدا لمن جاء بعد هؤلاء التابعين .

– الكتاتيب : لقد ارتبط بناء المساجد لنشر الإسلام و بيان تعاليمه بوجود مراكز ثقافية أخرى أدت بالفعل إلى نشر الثقافة الدينية بأصولها (القرآن و السنة) ، وهذه المراكز هي ما يعرف بالكتاتيب "حيث كانت في البدء خياما ، ثم أصبحت بعد حركة الاستقرار دورا" [3] . و أدت دورا كبيرا في تثقيف البربر و تعليمهم القيم الإسلامية وتحفيظهم القرآن الكريم و السنة النبوية .

---

1 – عبد الكريم غلاب : م س ، ج1 ص186

2 – د/ موسى لقبال : المغرب الإسلامي ، ص133

3 – د/ موسى لقبال : نفسه ، ص133

آثار البعثة العمرية :

لقد كان من آثار البعثة العمرية الآتي[1] :

– تحفيظ كتاب الله تعالى لأهل البربر ونشر السنة بينهم ، كما تم تفصيل أحكام الشريعة و بيان العقيدة الصحيحة التي ينبغي أن يدين بها الإنسان المسلم .

– وضع الأسس التي بنيت عليها هوية أهل المغرب من خلال ربطهم بتعاليم الإسلام مع الحفاظ على ثقافتهم الأمازيغية التي لا تتنافى مع الإسلام .

– وضع الأسس الأولى للحركة العلمية التي بنيت عليها الحياة الثقافية في بلاد المغرب ، و التي عمت كل الربوع بعد ذلك و امتدت إلى الأندلس و إفريقة .

– تعليم أهل المغرب القيم و التعاليم الإسلامية [2] بعيدا عن الفرق الكلامية والمذاهب العقدية ، و حتى التيارات السياسية الحزبية التي ظهرت في المشرق .

– نشر اللغة العربية و بيان قواعدها و تعليميها للصغار و الكبار ... فكانت هذه العملية قاعدة التعريب التي نشرها فيما بعد المغاربة أنفسهم في القبائل و القرى .

---

1 – د/ محمد مرغيت : البعثة العمرية و أثرها في توطين الإسلام و العروبة ببـلاد المغرب الإسلامي، ص113–114

2 – إن أهل المغرب كانوا يفدون على المساجد التي يعلم بها أعضاء البعثة العمرية ، فيستمعون إلى الدروس التي كان يليقها هؤلاء العلماء .

حسين مؤنس : فتح العرب لبلاد المغرب ، ص296

– إرساء تقاليد عند المغاربة عموما و هذا ببناء الكتاتيب و المساجد .

– ترسيخ مبدأ احترام و طاعة ولاة الأمور وفق الضوابط الشرعية و القواعد المرئية حتى تستقر الأمور و يسود الأمن .

– تخريج التلاميذ و الطلبة و هم يعدون بالمئات ، و هي الطبقة التي حملت المشعل و قادت مسيرة نشر الدعوة الإسلامية في بلاد المغرب[1] .

– إشاعة الرشد و الحرص على الأمن و التآخي بين المسلمين ، كما تم إقامة أحكام الشريعة و بيان الحلال و الحرام [2] .

– التأسيس للدراسات الشرعية و اللغوية في بلاد المغرب ، فصارت القيروان[3] منارة علمية و مركز إشعاع ثقافي و حضاري كبير .

---

1 – لقد أخذ عن البعثة العمرية نفر كبير من أهل إفريقيــة ، ذكر المالكي منهم مثلا : سوادة الجرامي ، و عبد الرحن بن سياد ، و كذا عمران بن عوف الغافقي من أهل مصر... (أخذوا عن عبيد الله بن إسماعيل الأنصاري) المالكي : رياض النفوس ، ج 1 ص 19 ، و قد ذكرنا من قبل الطلبة و التلاميذ الذين أخذوا العلم عن أفراد البعثة العمرية . حسين مؤنس : فتح العرب لبلاد المغرب ، ص297 و ما بعدها

2 – يقول ابن عذارى : "كانت الخمر بإفريقية حلالا حتى وصل هؤلاء التابعون فبينوا تحريمها رضي الله عنهم" . ابن عذارى : البيان المغرب ... ، ج1 ص34

3 – من آثار هذه الحركة الثقافية التي رعاها رجال الدعوة و الفتح أن غدت القيروان مرجلا يغلي بالدراسات و النقاش الذهبي ، فتنوعت حلقات مساجد القيروان ، و تعايشت فيها مختلف المذاهب ، حتى كان الظفر نهائيا بعد ذلك على يد أسد بن الفرات ثم على يد سحون للمذهب المالكي.

د/ موسى لقبال : المغرب الإسلامي ، ص134

– توحيد أهل المغرب ثقافيا بحيث صارت الهوية المغربية متجانسة أو منسجمة ، يجمعهم دين واحد و مصير واحد .

– توطيد صلات الأخوة و المحبة و الترابط و التعاون بين العرب و البربر ، فصار البربر يعتزون بدينهم و لغتهم العربية ، لأنها لغة القرآن .

– السعي إلى تطهير المعتقدات و إزالة ما علق بها من أدران مختلف الدعوات ، ومنها الدعوة الخارجية ، و مثال ذلك الرسالة التي رواها "المالكي" في "رياض النفوس..." لثلاثـــة من هؤلاء العلماء كتبوها ليقتدي بها المسلون و يعتقدوا ما فيها [1] (بعدما ثار جماعة من الخوارج على عهد حنظلة بن صفوان الكلبي ، وخيف على المسلمين من شر دعوتهم) .

---

1 – نص الرسالة : " بسم الله الرحمن الرحيم من حنضلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة ، أما بعد :

فإن أهل العلم بالله و بكتابه و بسنة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم [يعلمون] أنه يرجع جميع ما أنزل الله عز و جل إلى عشر آيات : آمرة ، و زاجرة ، و مبشرة ، و منذرة ، و مخبرة ، و محكمة ، و متشابهـة، و حلال ، و حرام ، و أمثال ، فآمرة بالمعروف ، ، و زاجرة عن المنكر ، و مبشرة بالجنة ، و منذرة بالنار، و مخبرة بخبر الأولين و الآخريت ، و محكمة يعمل بها ، و متشابهة يؤمن بها ، و حلال أمر أن يؤتى وحرام أمر أن يجتنب ، و أمثال واعظة ، فمن يطع الآمرة و تزجره الزاجرة فقد استبشر بالمبشرة و أنذرته المنذرة ، و من يحلل الحلال و يحرم الحرام و يرد العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله ، مع طاعة واضحة و نية صالحة ، فقد فاز و أفلح و أنجح و حيا حياة الدنيا و الآخرة و سلام عليكم و رحمة الله و بركاته"

أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي : كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وسيرهم، تحقيق: بشير بكوش، ج1 ص103

الخـوارج [1] وتأسيس الدولة الصفرية والدولة الرستمية

تعريف الخوارج

لغة : من الخروج ، مصدر من خرج ، نقيض الدخول ، و خارج كل شيء ظاهره ، يقال : خرجت خوارج فلان إذا ظهرت نجابتـــه ، و الخارجي : كل ما فاق جنســه و نظائره ، و الخارجي من يسود بنفسه من غير أن يكون له قديم ، و يقال للسحاب أول ما ينشأ : ما أحسن روجه ، و خرج فلان في العلم و الصناعة إذا نبغ [2].

اصطلاحا : سمي الخوارج بهذا الاسم أول الأمر بسبب خروجهم من الكوفة إلى النهروان ، ثم اختلف العلمـــاء بعد ذلك في تحديد تعريف لهم تبعـا للاختلاف في الصفــات و الأفكار و الخصائص[3].

المعنى السياسي : إن من استطاع أن يحدد لنا مفهوم الخوارج عند أهل السنة والجماعة – خاصة الأشاعـرة – إنما هو الشهرستاني (548هـ / 1153م) فقال:

---

1 – لقد ذكرنا هذه القضايا تماشيا مع الأحداث التاريخية ومن مصادرها ، و إلا فإنه حدثت تغييرات وظهرت أفكار أخرى لمجموعة الفرق والحركات المذهبية المختلفة ، كما أن هناك مجموعة من هذه الفرق و الحركات المذهبية قد اندثرت مع مرور الزمن ...

2 – الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ج1 ص183

الزمخشري : أساس البلاغة ، ج1 ص222

3 – انظر تفصيل ذلك : عبد التواب محمد عثمان : أثر الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصـر ، ص 46 و ما بعدها .

"كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان و الأئمة في كل زمان" [1] .

فالخروج عنده ينصرف إلى المعنى السياسي ، و هو الخروج على الإمام الشرعي الذي انتخب و اتفق عليه ، و بذلك يكون خروجا على اتفاق الجماعة أيضا ، و منطق الشهرستاني هذا يؤدي إلى أن الثائرين على عثمان رضي الله تعالى عنه خوارج ، و إلى أن طلحة و الزبير الثائرين على علي رضي الله عنهم أجمعين – بناء على أن الجماعة اتفقت عليه – خارجيان أيضا .

الاتجاه الديني : يعبر الشيخ المفيد (413هـ / 1022م) عن رأي الشيعة الإمامية في كتبه "أوائل المقالات" بقوله : "اتفقت الإمامية على أن الخوارج على أمير المؤمنين المارقين من الدين كفار بخروجهم عليه ، وأنهم في النار بذلك مخلدون" [2].

وهذه صورة خاصة عند الشيعة ، أما الصورة العامة فنجدها عند أحد الشيعة المعاصرين ، و هو الخطيب بن علي الحسيني ، إذ يقرر أن الخارجي عند الإمامية:

---

1 – الشهرستاني : الملل و النحل ، ج1 ص114

2 – الشيخ المفيد : أوائل المقالات ، ص11

"كل من خرج عن الإمام المعصوم" [1] . و على هذا الأساس فإن من خرج على بقية من تولى إمامة المسلمين من غير الأئمة المعصومين لا يسمى خارجيا عندهم لأنهم غير معصومين ، و ليسوا أئمة تجب طاعتهم ، فمعاوية رضي الله تعالى عنه (60هـ / 680م) و ابنه يزيد (64هـ / 683م) ليسوا أئمة شرعيين عند الشيعة الإمامية ، فمن شق عصى طاعتهم لا يعتبر خارجيا ، و يفسر نهي الإمام علي كرم الله تعالى وجهه و رضي عنه عن قتال الخوارج من بعده مع أنه قاتله في عهده بأن ذلك يرجع إلى أن ولاة الأمر الذين أتوا بعد ذلك ليسوا معصومين[2] .

و أما الزيدية فإنها تقول بالخروج و لكن بشرط أن تكون الجماعة الخارجة في عدد أهل بدر ، فتنعقد الإمامة لأحدها و تخرج على الإمامة الظالمة ، و يصرح الشيخ المفيد بأن الزيدية قاطبة مجمعة على أن الخارجين على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كفار بسبب خروجهم عليه ، و أنهم مخلدون في النار[3]. وسبيل الإمامة عند الزيدية إنما هو الدعوة و الخروج ، و يتفق رأي الإمامية و الزيدية في الخارجين على علي رضي الله عنه خاصة [4] .

---

1 – الخطيب بن علي الحسيني : وقعة النهروان أو الخوارج ، ص202

2 – المرجع نفسه ، ص202

3 – الشيخ المفيد : أوائل المقالات ، ص11

4 – د/ عمار طالبي : آراء الخوارج الكلامية ، ج 1 ص24–25

أما المعتزلة فإن ابن أبي حديد – و هو منهم – لا يرى قتال الخوارج على معاوية ، و يقرر أن هذا هو رأي أصحابنا من المعتزلة ، و يرى بأن ذلك هو الموقف الحق ، لأنهم أقل ضلالا من معاوية لأن معاوية أصر على الباطل ، أما الخوارج فينهون عن المنكر ، فعلى هذا يذهب المعتزلــة إلى أن الخروج على أئمـــة الظلم واجب ، و أن الفاسق بغير شبهة لا ينصر ، بل ينصر الخارج عليه وإن كان ضالا في عقيدة اعتقدها بتأول مع شبهة ، فهو بذلك أقرب إلى الحق[1] .

إن المعتزلة ترى أن الخارجية تطلق على كل من خرج على إمام عدل ، سواء في ذلك من خرجعلى علي رضي الله عنه ، و من خرج على غيره من أئمة المسلمين العدول ، و بهذا يكاد يكون رأي المعتزلة متفقا مع رأي الأشاعرة[2] ، غير أن الأشاعرة و السلف عامة لا ترى الخروج على الإمام الجائر ، أما المعتزلة فترى ذلك واجبا ، متفقة فيه مع الخوارج ، و المعتزلة ترى الخروج على السلطان إذا رأت في جماعتها الكفاية للتغلب على المخالفين لهم ، بحيث تعقد الإمامة لأحد أعضائها و تنهض لقتال الإمام و خلعه و إزالة سلطته ، و تأخذ الناس بالانقياد لاعتقادها في

1 – المرجع نفسه ، ج1 ص25

2 – المرجع نفسه ، ج1 ص25–27

التوحيد والعدل ، فإن دخلوا في مذهبها سلموا ، و إن امتنعوا قتلوا ، و بالجملة فإنه يجب عندهم الخروج على الإمام الجائر بقدر الإمكان[1] .

إن أسلاف المعتزلة* و هم الذين اعتزلوا عليا رضي الله عنه و لم يروا القتال معه ولا محاربته فإنهم واقفة ، و لم يكن لهم رأي واضح في الخوارج[2].

أسماء الخوارج :

تتعدد الأسماء التي تطلق على فرقة من الفرق الإسلامية ، منها ما يكون في معرض المدح ، و منها ما يكون في معرض الذم ، بعض هذه الأسماء يطلقها أنصار الفرقة عليها ، و البعض الآخر يطلقه عليها الخصوم ، خاصة إذا كانت التسميات و الأسماء هي الأخرى أسلحة في الصراع ، حتى و إن استقرت و غلبت على أصحابها ظلت التفسيرات لها و التخريجات لمعانيها تبحث عن السبل التي تجعلها فاعلة و مؤثرة في الصراع[3].

---

1 – د/ عمار طالبي : آراء الخوارج الكلامية، ج 1 ص 27 . نقلا عن الأشعري ج2 ص466

* أسلاف المعتزلة فيما يرى النوبختي و سعد بن عبد الله الأشعري هم : سعد بن أبي وقاص و عبد الله بن عمرو و محمد بن سلمة الأنصاري و أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ، ثم الأحنف بن قيس ، إلا أنه اعتزل بعد انحيازه إلى علي رضي الله عنه مع جماعة من قوم بني تميم طلبا للسلامة .

سعد بن عبد الله الأشعري القمي : كتاب المقالات و الفرق ، ص554

2 – د/ عمار طالبي : .م س ، ج1 ص27

3 – د/ محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامي ، ص16

و من الأسماء التي أطلقت على الخوارج ما يلي* :

1/ الخوارج : و هو أشهر أسماء هذه الفرقة ، و الذي عرفت به ، و هو جمع خارج، و هم الذين خرجوا على الإمام على رضي الله عنه في حروراء و من نشأ منهم بعد ذلك .

و نظرة المدح في هذا الاسم تستند إلى أنه مصطلح ورد في القرآن الكريم ، واستعمل في الخروج في سبيل الله تعالى و نصرة دينه ﴿ **و من يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا و سعة و من يخرج من بيته مهاجرا إلى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله و كان الله غفورا رحيما** ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ **و لو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة** ﴾ [2] ، فهم يرون أن خروجهم إنما هو لله تعالى و في سبيله.

فهذا الاسم يعده الخوارج شرفا لهم ، و عنوانا على جهادهم في سبيل الله تعالى ونصرة دينه في مقابل أئمة الجور و الفساد . أما نظرة الذم في هذا الاسم ، فإن خصومهم يفسرونه تفسيرا يلحق بهم الذم ، فيرون أن الخروج هو عصيان

---

* عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص72

و انظر تفصيل ذلك – كذلك – في عبد التواب محمد عثمان : أثر الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر ، ص 59 و ما بعدها

1 – سورة النساء ، الآية 100

2 – سورة التوبة ، الآية 46

الإمام الحق ، و التأليب عليه ، و خلع طاعته ، و الخروج عن جماعة المسلمين[1].

2/ الشراة : جمع شارٍ ، و هذا الاسم ينظر إليه الخوارج على أنه مدح أيضا ، فيرون أن الشاري اسم فاعل من الشراء ، لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى ، و قيل سموا بذلك لقوله : إنا شؤينا أنفسنا في طاعة الله ، أي بعناها بالجنة ، و يتمسكون بالآية الكريمــة : ﴿ و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله و الله رؤوف بالعباد ﴾ [2] ، وقد أطلق الاسم على من خرج على الإمام بعد ذلك ، و من ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه أنه جمع بنيه حين أشرى أهل المدينة على ابن الزبير رضي الله عنه و خلعوا بيعة يزيد ، أي صاروا كالشراة في فعلهم ، و هم الخوارج ، فصار الاسم يراد به مطلق من خرج على الإمام و أعلن عصيانه من الخوارج أو من غيرهم.

---

1 – أبو موسى الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ج1 ص167–207

الشهرستاني : الملل و النحل ، ج1 ص105

2 – سورة البقرة ، الآية 207

3/ الحرورية : بعد رجوع علي رضي الله عنه من صفين إلى الكوفة انحاز الخوارج إلى حروراء ، و سموا حرورية لذلك [1] ، و في بعض الروايات أن الذي سماهم بذلك هو الإمام علي رضي الله عنه ، لما تجمعوا بحروراء قال لهم : ما نسميكم ، ثم قال: أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء[2] .

4/ المحكمة : و سموا محكمة لإنكارهم التحكيم ، و قولهم : "لا حكم إلا لله" ، و قد سموا الحكمية ، و قد أجمعت كل فرق الخوارج علىإنكار التحكيم و لم يخالف منهم أحد .

5/ النواصب : و النواصب قوم يتدينون ببغض علي رضي الله عنه ، و هو من " ناصبت لفلان : أي عاديته نصبا " و منه الناصبية و النواصب ، و أهل النصب : الذين ينصبون لعلي كرم الله وجهه البغض و الكره و العداء[3] .

---

1 – أبو موسى الأشعري: مقالات الإسلاميين ، ج1 ص207
الشهرستاني : الملل و النحل ، ج 1 ص107
البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص75

2 – الإمام أبو العباس المبرد : أخبار الخوراج من الكامل ، ص18

3 – .الزمخشري : أساس البلاغة ، ج2 ص446

6/ المارقة : و هو من مرق السمق من الرميـــــة ، خرج من الجانب الآخر ، والمروق الخروج من الشيء من غير مدخله ، و المارقة : الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه ، و منه سميت الخوارج : مارقة [1] .

إن الخوارج يرضون بهذه الألقاب كلها إلا المارقة ، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين[2] ، و بالتالي فهذه الألقاب التي أطلقت على الخوارج ، و كل ما يوافق عليه الخوارج يفسرونه تفسيرا يعلي قدرهم و يرفع شأنهم ، على حين يفسره الخصوم تفسيرا يلحق بهم المذمة و يجعل الاسم عنوان على مبادئهم و آرائهم .

فرق الخوارج :

يقول البغدادي [3] أن الخوارج عشرون فرقة ، و أسماؤها هي : المحكمة الأولى، و الأزارقة ، و النجدات ، و الصفرية ، ثم العجاردة المفترقة فرقا منها : الخازمية ، و الشعيبية ، و المعلومية ، و المجهولية ، و أصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها ، و الصلتية ، و الأخنسية ، و الشبيبية ، و الشيبانية ، و المعبدية ، و الرشيديـــة ، و المكرمية ، و الحمزية ، و الشمراخية ، و الإبراهيمية ، و الواقفة ، و الإباضية.

---

1 – ابن منظور : لسان العرب ، ج10 ص341
الزمخشري: أساس البلاغة ، ج2 ص380

2 – أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ج1 ص207

3 – عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص72–73
و هناك تفصيل كبير كذلك عند الإمام الشهرستاني في كتابه : الملل و النحل ، ص106 و ما بعدها

و الإباضية منهم افترقت فرقا معظمها فريقان : حفصية ، و حارثية .

فأما اليزيدية من الإباضية ، و الميمونية من العجاردة فإنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة .

آراء الخوارج :

لقد كان خروج الخوارج [1] في الزمن الأول على أمرين :

أحدهما : بدعتهم في الإمامة ، إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش ، و كل من ينصبونه برأيهم ، و عاشر الناس على ما مثلوا له العدل و اجتناب الجور كان إمام ، و من خرج عليه يجب نصب القتال معه ، و إن غير السيرة و عدل عن الحق وجب عزله أو قتله ، و هم أشد الناس قولا بالقياس ، و جوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلا ، و إن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبدا حرا أو نبطيا أو قرشيا .

و الثانية : أنهم قالوا أخطأ علي رضي الله عنه في التحكيم ، إذ حكم الرجال لا حكم إلا لله تعالى ، و قد كذبوا عن علي رضي الله عنه من وجهين :

1 – الشهرستاني : م س ، ص 208 و ما بعدها

أحدهما : في التحكيم ، أنه حكم الرجال ، و ليس ذلك صدقا ، لأنهم هم الذين حملوه على التحكيم .

و الثاني : أن تحكيم الرجال جائز ، فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة ، و هم رجال ، و لذا قال علي رضي الله عنه : كلمة حق أريد بها باطل ، و تخطوا عن التخطئة إلى التكفير ، و لعنوا عليا رضي الله عنه ، فيما قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين ، فقاتلهم و ما اغتنم أموالهم و لا سبي ذراريهم و نساءهم ، و طعنوا في عثمان للأحداث التي عدوها عليه ، و طعنوا في أصحاب الجمل و أصحاب صفين، فقاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان مقاتلةلاشديدة ، فما انفلت منهم إلا أقل من عشرة.

أما الأزارقة الذين خرجوا مع نافع ابن الأزرق من البصرة إلى الأهواز ، فبدعهم ثمانية ، و هي:

إحداها : تكفير علي رضي الله عنه .

الثانية : تكفير القعدة ، و نافع بن الأزرق هو أول من أظهر البراءة من القعدة عن القتال ، و إن كان موافقا على دينه ، و كفر من لم يهاجر إليه .

الثالثة : إباحة قتل أطفال المخالفين و كذا النساء .

الرابعة : إسقاط الرجل عن الزاني .

الخامسة : القول بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم .

السادسة : أن التقية غير جائزة لا في قول و لا في عمل .

السابعة : تجويز الكبائر و الصغتئر على الأنبياء عليهم السلام .

الثامنة : القول بأن من ارتكبر كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة ، و خرج به عن الإسلام جملة ، و يكون مخلدا في النار مع سائر الكفار .

و أجمعت النجدات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط ، و إنما عليهم أن يتناصحوا فيما بينهم .

و قالوا : الدين أمران :

أحدهما : معرفة الله تعالى و معرفة رسلهم عليه السلام ، و الْزار بما جاء من عند الله جملة ، فهذا واجب على الجميع ، و الجهل به لا يعذر فيه .

الثاني : ما سوى ذلك فالناس معذورون فيه ، إلى أن يقوم عليهم الحجة في الحلال و الحرام ...

و أما الصفرية فمن آرائهم :

- عدم تكفير القعدة عن القتال ، إذا كانوا موافق في الدين و الاعتقاد .

- عدم الحكم بقتل أطفال المشركين و تخليدهم في النار .

- لم يسقطوا الرجم .

- التقية جائزة في القول دون العمل .

- القول : ما كان من الأعمال عليه حد واقع ، فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد ، كالزنى و السرقة و القذف ، فيسمى زانيا ، سارقا ، قاذفا ، لا كافرا مشركا .

- القول بتزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية ، دون دار العلانية .

- القول بأن الشرك شركان : شرك هو طاعة الشيطان ، و شرك هو عبادة الأوثان، و الكفر كفران : كفر بالنعمة ، و كفر بإنكار الربوبية ، و البراءة براءتان : براءة من أهل الحدود سنة ، و براءة من أهل الجحود فريضة .

و آراء الإباضية [1] :

- الصفات الإلهية هي عين ذات الله ، نفيا لتعدد القدماء .

- رؤية الإنسان لله لا تتحقق أبدا لا في الآخرة فضلا عن الدنيا .

- القرآن مخلوق عند المغاربة خاصة ، و غير مخلوق عند القسم الآخر .

- الخلود في الجنة و النار أبدي .

- الإنسان حر في اختياره ، مكتسب لعمله ، ليس مجبرا عليه ، و لا خالقا لفعله .

- الإيمان قول و تصديق و عمل ، و ليس قولا و تصديقا فقط دون عمل .

- ولاية المطيع و البراءة من العاصي .

- النفاق منزلة بين الشرك و الإيمان ، و ليس منزلة بين الإيمان و الكفر.

- إذا أطلقت كلمة الكفر على الموحد ، فالمقصود بها كفر النعمة لا كفر الشرك .

- مصادر التشريع هي : القرآن و السنة و الرأي ، و الرأي قد يأتي بمعنى الاجتهاد أو الاجماع أو القياس .

---

1 - بحاز إبراهيم بكير : الدولة الرستمية ، ص 77 و ما بعدها

– الصحابة كلهم عدول وروايتهم مقبولة ، إلا في الأحاديث المتعلقة بالفتن ، ممن خاض في الفتن .

– الإمامة فرض و شرطها هو الكفاءة الشرعة .

– الإمامة أربعة أنواع و تعرف عند الإباضية بمسالك الدين ، و هي :

* إمامة الظهور : و هي واجبة عندما تتوفر شروطها لتأسيس دولة إباضية المذهب (و شروطها : أن يكون المسلون من الإباضية أقوى من غيرهم ، بحيث يستطيعون انتخاب من يحكمهم علنا ، و أحسن من يمثل هذا النوع من الإمامة ، الإمام عبد الرحمن بن رستم) .

* إمامة الدفاع : و هي مرحلة بين الظهور و الكتمان ، فإذا كان الإباضية في طور الكتمان و داهمهم العدو فيجب عليهم أن يعلنوا حالة الدفاع عن أنفسهم ، و تعقد إمامتها لصاحب الشجاعة و الخبرة العسكرية ، له ما لإمام الظهور ، و تزول إمامته بزوال الخطر الداهم .

* إمامة الشراء : و هي أن يخرج إمام بأربعين (40) رجلا فما فوق يبايعونه على الجهاد في سبيل الله ، و يسمون الشراة ، لأنهم اشتروا الجنة بأرواحهم .

* إمامة الكتمان : و تعبر عن مرحلة الضعف التي تردى إليها الإباضية بحيث يركنون إلى السرية ، و استعمال التقية ، و ينتخبون إماما عليهم ، يكون عادة هو أعلمهم .

و ترى الإباضية حسب ما يقوله الشيخ اطفيش : " الحق ما نحن عليه و الباطل ما عليه خصومنا ، لأن الحق عند الله واحد ، و مذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ، و مذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصدق .

نشأة الخوارج :

إن بذرة الخوارج الأولى نبتت في عهد النبوة ، ثم ترعرت في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ، و بلغت أوجها في زمن علي كرم الله وجهه في فتنة صفين ثم النهروان ، إن الخارجين على عثمان رضي الله عنه انشقوا على إمام شرعي ، وسلوا سيوفهم في وجهه ، و اجترؤوا على قتله ، لأغراض و مقاصد شتى ، و لقد ذكر هذه الظاهرة و تطورها الإمام أبو بكر محمد الحسـن الآجري (360هـ / 970م) و سجل مراحلها مرحلة مرحلة كما يظهر من هذا النص[1] : " و أول قرن طلع منها (الخوارج) على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، هو رجل طعن

1 – أبو بكر الآجري : كتاب الشريعة ، ص 326–327

على النبي صلى الله عليه و سلم و هو يقسم الغنائم [بالجعرانة*] فقال: اعدل يا محمد ، فما أراك تعدل ، فقال : "ويلك فمن يعدل إذا لم أكن أعدل" ، فأراد عمر رضي الله عنه قتله ، فمنعه النبي صلى الله عليه و سلم من قتله (...) ثم إنهم خرجوا بعد ذلك من بلدان شتى ، و اجتمعوا و ظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن النمكر حتى قدموا المدينة فقتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، و قد اجتهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ممن كان بالمدينة في أن لا يقتل عثمان ، فما أطاقوا على ذلك رضي الله عنهم ، ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، و لم يرضوا بحكمه ، و أظهروا قولهم ، و قالوا : "لا حكم إلا لله" فقال علي كرم الله وجهه : "كلمة حق أرادوا بها الباطل" ، فقاتلهم علي رضي الله عنه فأكرمه الله تعالى بقتلهم ، و أخبر عن النبي صلى الله عليه و سلم بفضل من قتلهم أو قتلوه ، و قاتل معه الصحابة رضي الله عنهم ، فصار سيف علي رضي الله عنه سيف حق إلى أن تقوم الساعة " .

* الجعرانة بكسر أوله إجماعا ، و هل هناك تشديد أم تخفيف في الراء اختلاف ، ماء بين الطائف و مكة ، و هي إلى مكة أقرب .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 2 ص 142

صفين و التحكيم :

إن هناك عوامل نفسية و سياسية ساعدت على حدوث الفتنة ، من ذلك عثمان لعمرو بن العاص رضي الله عنهما عن عن مصر ، فلما ورد المدينة أخذ في الطعن في سياسة الخليفة[1] ، و كذلك عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي كان بينه و بين عباس بن عتبة بن أبي لهب سوء تفاهم و قذف ، فعزرهما الخليفة ، فأورث ذلك بين آل عمار و آل عتبا أثرا سيئا ، كما أعقب جفوة بين الخليفة و عمار بن ياسر ، ومن جهة أخرى فإن سبب خروج محمد بن أبي حذيفة عثمان رضي الله عنه ، أنه طلب من الخليفة أن يوليه عملا فامتنع ، فلم يرضه ذلك ، فخرج من المدينة إلى مصر حاملا في نفسه ضغينة ، و أخذ يطعن فيه بمصر رغم أنه كان يتيما رباه في حجره و أنعم عليه[2] ، و يبدو مما أورده الطبري – كذلك – أن طلحة (36هـ / 656م) رضي الله عنه نفسه كان ناقما على عثمان رضي الله عنه ، و كاتب أهل البصرة بذلك ، و لكنه كان يقصد إلى استعتابه لا إلى قتله[3] ، و أكبر عامل في ذلك

1 – الطبري : تاريخ الطبري ، ج 4 ص 365

2 – الطبري : تاريخ الطبري ، ج 4 ، ص 399

3 – المرجع نفسه ، ج 4 ص 469

موقف معاوية رضي الله عنه الذي أبى أن يدخل في البيعة ، و عزله علي كرم الله وجهه من ولاية دمشق* .

و في رواية موثوق منها أوردها يحيى بن سليمان الجعفي (283هـ / 852م) أحد شيوخ البخاري في مؤلف "كتاب صفين" بسند جيد – كما وصفه ابن حجر – عن أبي مسلم الخولاني (62هـ / 681م) أنه خاطب معاوية رضي الله في نزاعه لعلي كرم الله وجهه فأجابه بأنه ابن عم لعثمان رضي الله عنه و أنه وليه في الطلب بدمه ، و لا يرغب من علي رضي الله عنه إلا تسليم قتلته ، فكلم علي رضي الله عنه في ذلك فكان شرطه أن يدخل معاوية في البيعة ، ثم يحاكم إليه القتلة ، فأبى معاوية ذلك الشرط ، و عند ذلك توجه الإمام علي رضي الله عنه بجيوشه من العراق إلى أن نزل صفين ، و توجه معاوية أيضا إليها ، و كان ذلك في ذي الحجة 36هـ / 657م* ، فوقعت بينهما مراسلات ، و سعت بينهما وفود ، فلما لم يتم الاتفاق نشبت** الحرب . و أهم ظاهرة في معركة صفين هي رفع المصاحف على الرماح رمزا للرجوع لحكم الكتاب ، و إلى رد النزاع إلى الله و الرسول ، و لذلك فإن بعض

---

* أبو بكر الباقلاني ينكر ما أورده الطبري في أن معاوية رضي الله عنه مرشحا للخلافة قبل مقتل عثمان رضي الله عنه (الطبري ، ج 4 ص 343).

الباقلاني : التمهيد ، ص212

* في رواية ابن سعد أن اللقاء في صفين كان في العشر الأوائل من محرم و بدأ القتال في شهر صفر سنة 36هـ / 656م

** عبر عنها د/ عمار طالبي بالعنيفة ، إلا أن ما نراه هو القوة أفضل.

الباحثين يرون أن سبب نشوء الخوارج إنما هو التحكيم ، إذ هو السبب المباشر للخروج ، و الذين أنكروه هم نواة الحزب الخارجي و أصله أن التحكيم سبي ظاهري و مناسبة فحسب ، لأن التذمر مما آلت إليه الأوضاع الإسلامية كان كامنا في النفوس[1] ، فكانت قلوب الناس تكاد تنفجر في هذا التمزق بين المسلمين المخالف للحقيقة القرآنية ، المنافي لمبادئ الإسلام الأساسية فكيف يجوز أن يتقاتل المسلون ؟ و هل تسمح مبادئ الإسلام بأن يمتشق المسلم سيفه و يشهره على أخيه المسلم ؟ فالتقوى و التمسك بالقرآن و السنة تمسكا كليا من أسباب الخروج و دواعي الإنكار، و نبذ الفريقين المتقاتلين جميعا و البراءة منهما و من أتباعهما الراضين بأعمالهما ، فالتمسك بالعقيدة في أصلها أدى بالخوارج إلى الثورة العنيفة ، م ع التوبة من جميع ما صدر من فعل أو قول ... ، و قد أعلنوا توبتهم و طالبوا غيرهم بإعلان التوبة و إن لم يفعل فهو كافر[2].

1 – فلهاوزن : أحزاب المعارضة السياسية و الدينية في صدر الإسلام ، الخوارج و الشيعة ، ص5

2 – د/ عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية ، ج 1 ص81

إلا أن الشيخ زاهد الكوثري في مقدمته لكتاب "التبصير في الدين" يقرر أن نشأة الخوارج كانت نتيجة لعاطفة سياسية قوية* جامحة لجموح الخوارج[1] . والمستشرق نيكلسون يقرر أن الدافع للخارجية إنما هو دافع ديني[2].

و لا شك أن العنصر الأساسي متضمن في العاطفة الدينية ، لأن حقيقة الإسلام حقيقة دينية سياسية ، و لا فصل فيها بين السياسة و الدين ، إضافة إلى ذلك فإننا نستطيع القول بأن نشأة الخوارج لا ترجع إلى العاطفة فحسب ، بل إنها تنطوي على عنصر عقلي أساسي في تكون الفرق و الأحزاب و هو التأويل .

لقد كان لجماعة القراء تأثير بالغ في التحكيم ، لأنهم كانوا يدعون إلى الصلح و عدم إراقة الدماء ، و إلى الرجوع إلى الكتاب ، إذ كانوا يقفون حاجزا بين الفريقين المتقاتلين مرات عديدة منعا للقتال ، و لكن أحمد بن حنبل (241هـ / 855م) يروي أن القراء كانوا معارضين لقبول التحكيم إلى المصحف حين جاء به أحد رجال معاوية رضي الله عنه و قال : بيننا و بينكم كتاب الله ﴿ ألم تر إلى أوتوا نصيبا من

---

* يعلق د/ طالبي أن أخبار وقعة صفين رويت من طرف واحد و هو الطرف العلوي ، فأبو مخنف شيعي كوفي ، و كذلك نصر بن مزاحم شيعي ، أما طرف معاوية فإنه لم يرو لنا أخبارها ، فذلك وجب اللجوء إلى ثقات المحدثين .

د/ عمار طالبي : م س ، ج 1 ص 81

1 زاهد الكوثري : التبصير في الدين ، ص 3

2 – عمر أبو النصر : الخوارج في الإسلام ، ص 116

الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم و هم معرضون ﴾[1] فقال علي كرم الله وجهه : نعم أنا أولى بذلك ، فقال القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك : يا أمير المؤمنين ما ننتظر بهؤلاء القوم إلا أن نمشي عليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا . فهذه الرواية التي رويت عن شاهد عيان ، و هو أبو وائل ، تثبت أن القراء أبو التحاكم فإن موقف الخوارج منسجم و منطقي بخلاف الروايات الأخرى التي أوردها الطبري ، فإنها تقرر أن القراء هم الذين حملوا عليا كرم الله وجهه على قبول التحكيم ، ثم أنكروا عليه بعد ذلك ، و خرجوا بسبب التحاكم ، و هو ما تقرره رواية أبي مخنف[2] ، و من جهة أخرى فإن رواية أحمد لا تتفق مع الموقف العام للقراء الذين كانوا يقفون حاجزا بين الفريقين المتحاربين و يتمسكون بمبدأ منع سفك الدماء بين المسلمين ، و هل هذا التعارض بين الروايات بأن بعض القراء كان يرمي إلى الصلح و التحكيم ، و بعضهم – و يبدو أنهم الأقل – يرى الاستمرار في القتال لأنه قائم على أساس إسلامي ، و هو قتال البغاة الخارجيـن على الإمام الشرعي ، و لذلك فرواية نصر بن مزاحم تتفق مع رواية أحمد إلا أن السياق يختلف ، فسياق نصر بن مزاحم يفيد أن ذلك وقع بعد قبوله التحكيم ، فجاءه جماعة من القراء

1 – سورة آل عمران ، الآية 23

2 – الطبري : تاريخ الطبري ، ج 5 ص 48

وتكلموا بنفس الكلام الذي أورده أحمد[1] . و في رواية أحمد أيضا ما يخالف الروايات الأخرى التي تؤكد أن الإمام عليا رضي الله عنه أبى الاستجابة إلى رفع المصاحف، و أدرك أنها خدعة ، و أن القراء و غيرهم من أفراد جيشه هم الذين حملوه على قبول التحكيم ، فلما خشي من تفرق كلمة جيشه اضطر لقبوله ، و يمكن القول – جمعا للروايات – أن الإمام عليا رضي الله عنه أدرك أن رفع المصاحف حيلة دبرها عمرو بن العاص رضي الله عنه ، و لكنه استجاب لها نظرا لرغبة القراء من ناحية ، ولكي لا يقال عنه أنه أبى الاستجابة لكتاب الله تعالى ، و لأنه أيضا واثق من أن موقفه على حق و أقوى من موقف خصومه ، وأن العاقبة تكون له لا محالة . و في رواية للإباضية ، أن عليا لم ينكر التحكيم ، و قد عاتبه عمار بن ياسر نفسه على ذلك قائلا : "أشككنا في ديننا و ارتددنا عن بصائرنا لنحكم عدونا في ديننا و دمائنا ، فهل كان ذلك قبل وضع السيف و قتل طلحة و الزبير..." ، فإن ثبت ذلك فهذا يؤكد رواية سيف بن عمر في أن السبئية هم قتلة عثمان رضي الله عنه و هم سبب الفتنة ، و أنهم أول من أشعل فتيل الحرب الأهلية ، فيكون عند ذلك منبت الشيعة والخوارج واحدا ، و يرى الدكتور محمود قاسم أن الشيعة و الخوارج مظهران لحزب واحد ، مظهره الخارجي العلني الخوارج و باطنه السري الشيعة [2].

---

1 – نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص 569

2 – د/ عمار طالبي : آراء الخوارج الكلامية ، ج 1 ص 83-84

ولئن كان جمهور القراء ينزع إلى التصالح و التحكيم ، فإن قتلة[1] عثمان رضي الله عنه الذين وجدوا في صف علي لم يرضهم هذا الصلح* لأنه خطر عليهم ، و لذلك قال الأشتر – عندما سمع بفكرة الصلح – : "و أن يصطلحوا و علي ، فعلى دمائنا،

---

1 – إن رواية سيف بن عمر في الطبري تقول : كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمن عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ظلالتهم ، فبداظ بالحجاز ، ثم البصرة ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد من أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتى أتى مصر ، فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع و يكذب بأن محمدا يرجع ، وقد قال الله عز و جب : " إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد " (القصص ، الآية 85) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى ، قال : فقبل ذلك عنه ، و وضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ، ثم قال لهم بعد ذلك ، أنه كان ألف نبي و لكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد ، ثم قال : محمد خاتم الأنبياء و علي خاتم الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و وثب على وصي رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و تناول أمر الأمة ، ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق ، و هذا وصي رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه ، إبدأوا بالطعن على أمرائكم و أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس ، و ادعوهم إلى هذا الأمر ، فبث دعاته ، و كاتب من كان استفسد في الأمصار و كاتبوه ، و دعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، و أظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و جعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ، و يكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، و يكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون ، فيقرؤه أولئك في أمصارهم ، و هؤلاء في أمصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة ، و أوسعوا الأرض إذاعة ، و هم يريدون غير ما يظهرون ، و يسرون غير ما يبدون ، فيقول أهل كل مصر : إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء إلا أهل المدينة ، فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار ، فقالوا : إنا لفي عافية مما في الناس .

منصور عبد الحكيم : ابن سبأ مؤسس الماسونية في الإسلام ، ص 67-68

* تؤكد رواية سيف بن عمر أن السبئية هي السبب الأول للفتنة ، و أنهم قتلة عثمان رضي الله عنه وموقدوا نار الحرب الأهلية ، و أنهم هم الذين أسسوا نواة حزب الخوارج أيضا (على عكس ما ذهب إليه فلهاوزن أن الحركة ضد عثمان رضي الله عنه لم تصدر عن السبئية و أنها لم تكن لها الأهمية التي أعطاها سيف بن عمر ... فلهاوزن : أحزاب المعارضة السياسية و الدينية في صدر الإسلام ، الخوارج و الشيعة ، ص 25 .) ، فيكون منبت الخوارج و الشيعة بهذا الاعتبار واحدا ، لأن مشأ الخوارج على علي رضي الله عنه يرجع إلى أصحاب الثورة على عثمان رضي الله عنه . فلهاوزن : م س ، ص 62

فهلموا فلنتواثب على علي فنلحقه بعثمان ، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون" [1].

و هددت طائفة من القراء و معهم مسعر بن فدكي التميمي (38هـ / 658م) وزيد بن حصين (38هـ / 658م) الإمام عليا بالقتل و إلحاقه بعثمان إن لم يستجب للتحكيم ، تحكيم الكتاب فيما شجر بينهم مما أدى بالأشتر أن قال لهم : "يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلواتكم زهادة في الدنيا ، و شوقا إلى لقاء الله عز و جل ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت" [2].

و على هذا فإن الدعوة إلى التحكيم أدخلت اضطرابا شديدا في صفوف أهل العراق ، فاختلف أصحاب علي رضي الله عنه ، فكان علي رضي الله عنه يسمع اختلاف أصحابه و نقاشهم "و هو ساكت لا يبض بكلمة مطرقا إلى الأرض" [3].

و من الذين احتاروا سعيد بن قيس ، فتارة يرى التحكيم و أخرى لا يراه ، و اختلف رؤساء القبائل ، فوافق كردوس بن هانئ نيابة عن عن قبيلة ربيعة ، و هي الجبهة العظمى – كما يصفها نصر بن مزاحم –[4] ،و مال إلى الموادعة شفيق بن ثور البكري ، و دعا رؤساء آخرون إلى الحرب و آخرون إلى ترك الحرب حتى لا تفنى

---

1 – الطبري : تاريخ الطبري ، ج 5 ص 195

2 – نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص 563

3 – نفسه ، ص 563

4 – نفسه ، ص 563

العرب ، أما الأشعث بن قيس (40هـ / 660م) و من نزع نزعته ، فقد صوروا للإمام علي أن الناس راضون بالتحكيم سوى فئة قليلة منهم .

و السؤال : متى وقع إنكار التحكيم ؟

هناك روايات متعارضة ، إلا أن منطق الحوادث يشير إلى أن الاختلاف في التحاكم وقع بعد رفع المصاحف مباشرة ، و قبل كتابة وثيقة التحكيم و اختيار الحكمين ، إلا أن الأمور بقيت في غموض ، إلى أن كتبت الوثيقة و عرضت على الجيش ، و حينذاك ظهر الإنكار الصريح ، و الخروج السياسي الواضح ، و تحدد موقف المنكرين و وضحت معالمه و تحدد شعارهم ، فقد كتب الكتاب في 17 صفر 37هـ / 11 أغسطس 656م ، و حدد موعد التقاء الحكمين بشهر رمضان (أي بعد ذلك بثمانية أشهر) ، فإنكار التحكيم و إعلان الشعار الرسمي للخوارج يكون واقعا – إذن – في 17 صفر 37هـ / 656م أو بعده بقليل ، حين عرضت الوثيقة على العموم ، و في هذا الشهر أو بعده بقليل أيضا وقع الخروج إلى حروراء (قرية قرب الكوفة) ، أما معركة النهروان (ثلاث قرى بين واسط و بغداد) أو الخروج الثاني ، فقد وقع في صفر 38هـ* / 658م ، فهناك خروجان : خروج إلى حروراء وخروج إلى النهروان .

---

* وفق ما رجحه الطبري و ذهب إليه أكثر المؤرخين .

و قد اختلف المؤرخون في أول من أنكر التحكيم و أعلن شعار الخوارج ، ففي رواية نصر بن مزاحم [1] أن أول من أنكره شخصان ، أحدهما يدعى معمدان والثاني جعد ، و هما أخوان ثم تبعهما على ذلك بنو راسب و جماعة من بني تميم ، و قيل أن أول من حكم سعيد بن خصفة بن محارب ، و قيل يزيد بن عاصم المحاربي ، وقيل الحجاج بن عبيد الله التميمي . و في روايات أخرى تذكر أن عروة بن أدية التميمي (58هـ / 677م) هو أول من نطق بشعار الخروج "لا حكم إلا لله" و عزم على ضرب الأشعث بن قيس بسيفه فأخطأه و ضرب مجز دابته ، مما جعل جماعة من بني تميم يعتذرون إلى الأشعث ، إذ أن عروة – هذا – كان من الزهاد العباد فسخط على علي رضي الله عنه بما قدمه الأشعث بن قيس من آراء حول مسألة التحكيم و كان له فيها دور كبير ، ففهم دماعة من أصحاب علي رضي الله عنه أن الأشعث يحارب من أجل الدنيا ، فنادى عروة بن أدية : و أين إذن شهداؤنا ؟ وأعلن الخروج الصريح عن الخليفة و تابعه أصحابه ، لأن عليا رضي الله عنه في نظرهم أمر بما ليس بحق و خالف القرآن و البينة* ، و أعلنوا عن خلافة جديدة يترأسها في الخروج الأول (إلى حروراء) عبد الله بن الكواء و شيث بن ربعي (70هـ /

---

1 – نصر بن مزاحم : وقعة صفين ، ص 588

* ذلك الإنكار و ذلك الخروج أصلا للمذهب السياسي الخارجي نظريا و عمليا ، و منه انبثق مذهب سياسي جديد يستند إلى النص القرآني.

691م) ، فأدرك علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطر هذه الفئة من القراء الخوارج و سارع إلى مناقشتهم و مناظرتهم لإقناعهم ، فتطرق الشك إلى بعضهم ، ورجع كثير منهم عن الخروج قناعة [1].

و بعد التحكيم و ما آل إليه أمر الحكمين حاول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه اقناع الخوارج بالرجوع إليه و القتال معه ، فأبوا و اتهموه بأنه يقاتل من أجل الحكم و الرياسة ، و خرجوا الخروج الثاني إلى النهروان (وقعت في 09 صفر 38هـ ، أما حكم الحكمين فوقع برمضان سنة 37هـ) * ، وقالوا : "لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر و استقبلت التوبة نظرنا

1 – يذكر د/ عمار طالبي أن نتائج القتال الذي وقع بعد التحكيم بين علي و الخوارج غير ثابت تاريخيا و أنه مشكوك فيه ، و أن روايته منكرة عند بعض المحدثين إنكارا تاما ، و حق لهم ذلك النكران ، و ينقل كلام ابن العربي : "هذا كله كذب صراح ، ما جرى منه حرف قط ، إنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة و وضعته التاريخية للملوك ، فتوارثه أهل المجانة ، و الجهارة بمعاصي الله و البدع" و ثبت عن طريق صحيح أن عمرا ابن العاص و أبا موسى الأشعري عزلا معاوية ، و وكلا الأمر إلى كبار الصحابة ، و أما الخدعة التي ينسبونها إلى عمرو بن العاص فهي خرافة لا يقبلها العقل و لا الأخلاق ، فكيف تنطلي أو يرضى بها الصحابة و خيار المسلمين ، و كيف يقوم بها عمرو بن العاص و هو الذكي الداهية ، لأن هذه العملية عملية صبيانية ، إذا أخذناها على النحو الذي ينقله المؤرخون .

د/ عمار طالبي : آراء الخوارج الكلامية ، ج 1 ص 87

* إن موقعة النهروان وقعت بعد حكم الحكمين لا قبله ، و الدليل أن عليا رضي الله عنه خاطبهم قبل النهروان و قال : إن الحكمين حكما بغير الكتاب و السنة ، و بهذا يزول شك المستشرقين حين رأو تعارض الروايات في هذا الشأن .

فيما بيننا و بينك ، و إلا فقد نابذناك على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين" [1]، فيئس منهم بعد أن اعترف أن الحكمين حكما بغير ما ينص عليه الكتاب و السنة .

و قبل خروجهم إلى النهروان بايعوا عبد الله بن وهب الراسبي[2] أميرا للمؤمنين وخليفة للمسلمين في 20 شعبان 37هـ / 31 يناير 658م ، و قد ورد في خطبته المبدأ الذي قام عليه أمر الخوارج ، "و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، وقول الحق ، و إنكار البدع ، و الانفصال عن الظالمين . و إذا كانت السبائية من قبل قد قالت بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فذلك لم يكن عن إخلاص ، وإنما كان عن خبث و سوء نية و أغراض نفعية و هدامة تضمرها الأكثرية منهم ، واتخذت الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر شعارا لها لتختفي وراءه ، و تحجب أغراضها الحقيقية بخلاف عبد الله بن وهب و جماعته .

---

1 – الطبري : م س ، ج 5 ص 77–78

2 – عبد الله بن وهب الراسبي : هو عبد الله بن وهب بن راسب بن يدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، وهي قبيلة نزلت بالبصرة ، أدرك النبي صلى الله عليه و سلم ، وشارك في فتوح العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص (55هـ) و كان من أنصار علي في حروبه، ثم أنكر التحكيم و خرج عليه ، و اعتبره الزركلي من أئمة الإباضيين و هو عند إبراهيم طفيش من كبار الصحابة .

د/ عمار طالبي : م س ، ج1 ص 88–89

و لقد أخلط مجموعة من العلماء بين عبد الله بن وهب الراسبي و عبد الله بن سبأ منهم : سعد القمي في كتابه "كتاب المقالات و الفرق" ص 55 ، البلاذري نقله عنه طه حسين في كتابه "الفتنة الكبرى" ص 91 ، النوبختي في كتابه "فرق الشيعة" ، المستشرق ماسينيون في اعتماده على النوبختي .

انظر تفصيل ذلك في د/ عمار طالبي : م س ، ج 1 ص 89...92

و لما شعر أصحاب علي رضي الله عنه الباقون معه بخروج من خرج سارعوا إلى بيعته على الكتاب و السنة و أرسل الإمام على رضي الله عنه رسالة إلى عبد الله بن وهب الراسبي و زيد بن حصين و من معهما يشرح لهم مخالفة الحكمين للكتاب والسنة و يبين لهم أنه بريء من الحكمين ، و يطلب منهم الرجوع إليه ، فكتب إليه الراسبي طالبا منه التوبة ، و الدخول فيما دخل فيه المسلمون ، و يقصد بذلك أن يبايعه علي[1].

انتشار مذهب الخوارج في بلاد المغرب :

يقد فشل الخوارج في المشرق الإسلامي في تحقيق أهدافهم بسبب أن حركاتهم كانت تفتقر إلى التنظيم السياسي ، و تعمد إلى القيام بثورات هوجاء دون تنظيم أو إعداد مسبق ، فما سهل على الخلافة الأموية و ولاتها ستئصال شأفتها ، و مع انتهاء ق 01هـ اختفت فرقت الأزارقة و النجدات ، و هما من أهم فرق الخوارج ، فكان من الطبيعي – إذن – أن تلجأ فرقتا الصفرية و الإباضية إلى أسلوب مغاير يقوم على تنظيم الدعوة السرية و بث الدعاة في أطراف العالم الإسلامي لنشر تعاليم المذهب ، فإذا كثر الأتباع و أنسوا من أنفسهم القدرة على الثورة بادروا بالخروج .

1 – د/ عمار طالبي : آراء الخوارج الكلامية ، ج1 ص 92

لقد كانت بلاد المغرب أهم أقاليم الأطراف التي اتجهت إليها جهود دعاة الخوارج في العراق ، و لقد ظهرت فرقتان فقط من فرق الخوارج [1] في أحداث بلاد المغرب هما : فرقة الصفرية ، و فرقة الإباضية .

أ – فرقة الصفرية : و تنسب إلى زياد بن الأصفر* إذ خالف زياد بن الأصفر نافعا بن الأزرق حول مسألة القعدة سنة 65هـ / 684م ، إذ اتخذ فيه موقفا وسطا بين الأزارقة المتطرفين و الإباضية المعتدلين ، فلم يكفر الصفرية "القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين و الاعتقاد" [2] . إن عقائد الصفرية تمثل تطورا عمليا ملحوظا في فكر الخوراج و عقائدهم ، إذ أنها تجنح إلى التخفيف من غلواء التطرف الذي

---

1 – د/ محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب ، ص 42–43 .

* الصفرية بالضم و بكسر : قوم من الحرورية نسبوا إلى زياد بن الأصفر .

الشهرستاني : الملل و النحل ج 1 ، ص 134

اختلف المؤرخون في تسمية الصفرية ، فمنهم من ينسبها إلى زياد بن الأصفر ، و منهم من نسبهم إلى عبد الله بن صفار ، و فريق ثالث نسبهم إلى شخص يسمى عبيدة كان قد خالف نجدة بن عامر الحنفي و رجع من اليمامة إلى البصرة ، و هناك من نسبهم إلى الصفرة في وجوههم من المبالغة في قيام الليل و السهر للعبادة و الزهد في الدنيا . و يرجع هذا الغموض إلى الوقوف على سبب تسميتهم إلى السرية التي أحاطت بها الحركة الصفرية نفسها منذ نشأتها و التي تمثلت في عدم الإفصاح عن قادة التنظيم و مكان تواجدهم لكي لايتم التنكيل بهم .

تعد فرقة الصفرية من فرق الخوارج التي اتخذت موقفا وسطا بين الأزارقة و الإباضية حتى أنهم اتهموا نافعا الأزرق بالغلو و التطرف في حين اتهموا ابن إباض بالتقصير و التساهل .

أ.م.د/ عبد الرؤوف أحمد عرسان جراز : ثورات الصفرية في بلاد المغرب (122 – 143 هـ / 740 – 760م) ، مجلة الأستاذ ، العدد 223 ، سنة 2017م / 1943هـ ، المجلد الأول ، ص326

2 – الشهرستاني : م س ، ج 1 ص134

أدى بحركاتهم إلى الفشل من قبل ، إذ أن الصفرية لم تسقط الرجم و لم تحكم بقتل أطفال المشركين و تكفيرهم كالأزارقة ، كما نادوا بجواز التقية في القول دون العمل ، و أجاز بعض زعمائهم تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية ، و قد كفل لهم ذلك معايشة جمهور المسلمين بدلا من إشهار عدائهم ، الأمر الذي أتاح لهم القدرة على الدعوة السرية المنظمة ، و حقق لمذهبهم الانتشار . لقد استفاد الصفرية من أخطاء الأزارقة و النجدات و من كان قبلهم من المحكمة الأولى ، إذ لم يقوموا بحركات لهم قبل ثورة صالح بن مصلح ضد الأمويين سنة 76هـ / 695م ، كما امتازت ثوراتهم بالتركيز على منطقة الموصل و الجزيرة و ديار بكر ، و اتخذوا مقرا تتجمع فيه قواتهم لتتجه نحو البصرة و الكوفة ، و قد سقطت الكوفة في أيديهم مرتين، الأولى : إبان ثورة شبيب سنة 77هـ / 696م ، و الثانية : أثناء ثورة بسطام بن يشكر المعروف باسم شوذب سنة 100هـ / 718م [1] .

لقد كانت القيـروان مركـز الدعوة في المغـرب ، و كان ذلك عند حضور عكرمـة – مولى ابن عباس – رأس دعاة الصفرية إلى إفريقية خلال السنوات الخمس الأولى من القرن الثاني الهجري .

1 – محمود إسماعيل : م س ، ص 45–46

وكان عكرمة من أصل مغربي و من موالي ابن عباس – كما ذكرنا آنفا – وقد أتاح له ذلك مخالطة كبار الفقهاء و المحدثين كأبي هريرة و السيدة عائشة رضي الله عنهم ، فسمع منهم و أخذ عنهم حتى أضحى من أعلام الثقاة في الفقه و الحديث ، ثم أخذ بالفكر الصفري و صار من فحول فقهائه ، و لما نزل عكرمة بالقيروان أمكنه الاتصال برؤساء القبائل من أمثال ميسرة المطغري – زعيم مطغرة – الذي تلقى العلم على يديه مختفيا مشتغلا بالسقاية في سوق القيروان حتى لا ينكشف أمره – و هو السيد لتلك العصبية (مطغرة) – فتسنى له أخذ تعاليم الذهب من عكرمة ثم عاد فنشرها بين قومه من بربر مطغرة . كما اتصل أبو القاسم سمكو بن واسول شيخ مكناسة بعكرمة في القيروان كذلك و لازمه حتى موته [1] ، و تبحر في أصول المذهب و فروعه حتى وصف بأنه من (مشاهير حملة العلم) و بأنه مقدم الصفرية بعد وفاة عكرمة . و استطاع أبو القاسم نشر المذهب بين قومه من مكناسة ، ثم اتجه نحو المناطق الصحراوية الجنوبية ملتقى المناطق الرعوية جنوب المغرب الأقصى لبث الدعوة فيها ، و عمد – شأنه شأن ميسرة – إلى اتباع أسلوب التستر والتخفي حتى تحولت خيمته إلى مجمع للخوارج الصفرية في تلك النواحي[2].

1 – سنة 105هـ أو 107هـ

2 – د/ محمود إسماعيل : م س ، ص 46

كما اعتنق بربر برغواطة هذا المذهب في وقت مبكر على يد طريف بن شمعون[1] الذي لقي عكرمة بالقيروان كذلك (و إن كانوا قد تخلوا عنه بعد ذلك و اتبعوا تعاليم ابنه صالح بن طريف) [2].

و انتشر المذهب الصفري أيضا في زناتة ، إذ اعتنقه بنو يفرن ، و أقبلت بعض بطونها في المغرب الأدنى على اعتناقه ، و ساهمت في حركة الصفرية بعد ذلك بصورة محدودة .

كما أن بعض العرب المقيمين بإفريقية دانوا بالمذهب الصفري و قد تسرب هؤلاء إلى المغرب بصحبة الجيوش القدمة من المشرق ، حتى ذاع عن بعض الولاة اعتناقهم هذا المذهب . أو على أقل تقدير تعاطفهم مع معتنقيه...

و أيضا انتشر المذهب الصفري بين جماعات الأفارقة و هم في الأصل من البربر الذين اخلطوا بالروم و دخلوا في خدمتهم و اعتنقوا ديانتهم ، أو من الأجانب

---

1 – من قادة ميسرة المطغري .

2 – تسكن برغواطة إقليم تامسنا بالمغرب الأقصى و أهم مدنه سلا و آزمور و أنفى و آسفى ، و كان زعيمها طريف بن شمعون من قواد ميسرة ، و قد اختلف في نسبه فيما إذا كان مصموديا أو يهوديا أو يمنيا و على كل – فقد خلفه بعد موته ابنه صالح الذي تزندق و شرع ديانة جديدة ، و أظهر قرآنا جديدا و تسمى "بصالح المؤمنين" و لم يقدر لتعاليمه الانشار في حياته ، فقد غادر البلاد إلى المشرق ، و ادعى أنه المهدي المنتظر و كان قد أعد ابنه إلياس للقيام بأمر دعوته بعد أن لقنه أسراراها وفقهه بأصولها . و قد فشت الدعوة في عهد إلياس ، و حاول الأدارسة القضاء عليها إلا أنها ظلت قائمة حتى عصر الموحدين.
د/ محمود إسماعيل : م س ، هامش رقم 161 ، ص 48

الذين طال وجودهم في بلاد المغرب حتى أصبحوا و كأنهم أفارقة ، ة كان لهم نمط خاص في حياتهم ، فأقبلوا على اعتناق الإسلام . و هكذا لما انتشر المذهب الصفري بين بربر المغرب الأقصى لم يحجم الأفارقة عن اعتناقه ، إذ تلقاه زعيمهم عبد الأعلى بن جريج عن عكرمة بالقيروان ، ثم نشره بين قومه[1] .

و امتدت كذلك تعاليم الصفرية إلى جماعات السودان القاطنين جنوب الصحراء عن طريق أبي القاسم سمكو بن واسول ، فقد أقام أبو القاسم فيهم – بواحة تافيللت – وأخذ يعمل على نشر المذهب الصفري ، فكان له فيهم أتباع مخلصون التفوا حوله ، و أخذ جموعهم تفد و تستقر في هذا الإقليم (تافيللت) بصفة دائمة ... و ما إن شرع الصفرية في إقامة دولتهم بسجلماسة في 140هـ / 757م حتى اختاروا أول أئمتهم من السودان و هو عيسى بن يزيد الأسود .

لقد أقام الصفريون في إقليم تافيللت[2] بأقصى الصحراء الكبرى و كان هذا الإقليم التائي من بلاد المغرب يمثل نهاية العمران من ناحية الجنوب و الغرب ، و الطريق إليه غاية في الوعورة إذ يمتد في متاهات من القفار و الرمال ، و لذلك فهو في

---

1 – ينقل المؤرخ محمود إسماعيل عن ابن عذارى : أن الأفارقة اشتركوا في ثورة ميسرة سنة 121هـ / 739م ، و تقليد ميسرة عبد الأعلى واليا على طنجة بعد ذلك .

د/ محمود إسماعيل : م س ، ص 50 .

2 – لقد نزل الزعيم الصفري أبو القاسم سمكو أرض تافيللت سنة 138هـ / 755م ، و اشتغل بالرعي ، و أخذ يعلم الآخرين أصول المذهب الصفري .

حماية الطبيعة أتاحت لبربر مكانسة أن يتخذوا من قصبته سجلماسة عاصمة لهم ، فكانت مكناسة هي العصبية التي ارتكزت عليها دولة بني مدرار كما أسهمت عناصر أخرى في قيام الدولة ، أبرزها : بربر صنهاجة و زويلة و زناتة و زنوج السودان و أهل الربض الأندلسيين ، و يعزى دور مكناسة القيادي إلى أسبقيتها في اعتناق المذهب الصفري ، فقد وصلها في وقت مبكر إذ تلقاه المكناسيون عن أئمتهم و رؤوسهم من المغرب كما يذكر ابن خلدون ذلك ، فكان زعيمهم أبو القاسم سمكو على صلة بعكرمة منذ وصوله إلى القيروان – كما ذكرنا – و هو من أشهر دعاة الصفرية في بلاد المغرب على الإطلاق . و يذكر المؤرخون أن أبا القاسم شرع في إعلان قيام دولته سنة 140هـ[1] / 717م ، لما بلغ أنصاره أربعين رجلا بايع بالإمامة عيسى بن يزيد الأسود و حمل قومه من مكناسة على طاعته .

لقد أسس الصفرية حصنا في وسط المدينة أسموه "العسكر" ، كما أسسوا المسجد الجامع و دار الإمارة ، ثم أقبل الناس على بناء دورهم حول الحصن ، فاتسع العمران ... و قد أسهم في بنائها معماريو الأندلس و اليهود الذين استقروا بها ، كما أسس صورها سنة 208هـ / 823م ، و به 12 بابا ...

1 – و في نفس هذه السنة تم اختطاط سجلماسة لتكون حاضرة الدولة ، و هي لم تكن موجودة من قبل.

و هكذا غدت سجلماسة قبلة الصفرية [1] في بلاد المغرب بأسره ، و ليس لبني مدرار فقط ، و استطاع أبو القاسم سمكو بن واسول المكناسي "مقدم الصفرية" – كما ذكرنا من قبل – بالمغرب الأقصى تحقيق أهداف الخوارج الصفرية بإقامة دولة لهم في بلاد المغرب ، توارثها بنوه من بعده إلى أن سقطت إثر مداهمة الفاطميين الشيعة لها، و بقي الصفريون في ثوراتهم ضد الفاطميين (آخر ثورة هي ثورة الشاكر لله المدراري المتوفى في 352هـ) [2].

ب – الإباضية : بعد حادثة التحكيم جعل الفريق الخارج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عبد الله بن وهب الراسبي إمامهم ، و بعد معركة النهروان اعتزل جماعة منهم أصحابهم و توجهوا إلى البصرة حيث أخذوا يدعون لمذهبهم سرا خوفا من بطش الأمويين لهم ، و قد تزعم هذا الفريق أبو بلال مرداس بن أدية التميمي ،

---

1 – يذكر المؤرخون أن فشل الخوارج في بقائهم بإفريقية راجع لسببين رئيسيين :

* التنافس بين الصفرية و الإباضية على امتلاك القيروان و اندلاع الحرب بينهما سنة 140هـ ، الأمر الذي أضعفهما معا ، فوقعوا لقمة صائغة لجيوش ابن الأشعث سنة 141هـ ، و كذا تنكيل يزيد بن حاتم بهم سنة 155هـ .

* حرص الخلافة العباسية على دعم نفوذها في إفريقية بإنفاذ الحملات المتتابعة التي عهد بقيادتها إلى قادة أكفاء / من أمثال ابن الأشعث الأغلب بن سالم وعمر بن حفص و يزيد بن حاتم .

إضافة إلى قيام حكم آل المهلب الأقوياء في القيروان ، و عدم توانيهم عن ملاحقة حركة الخوارج .

و على إثر ذلك اتجهوا إلى المناطق الصحراوية النائية بالمغرب الأقصى و الأوسط ، حيث أقام الصفرية دولتهم بالمغرب الأقصى و عاصمتها سجلماسة سنة 140هـ / 757م.

انظر د/ محمود إسماعيل : م س ، ص 110...112

2 – د/ محمود إسماعيل : م س ، 113 و ما بعدها

و كونت هذه الجماعة البذرة التي أنتجت الفرقة الإباضية (أهل الدعوة – كما كانوا يسمون أنفسهم –) . شهد أبو بلال [1] – زعيم هذه الجماعة المعلن– معركة صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، و أنكر التحكيم و اشترك في معركة النهروان مع المحكمة ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2] .

و بعد وفاة أبي بلال سنة 61هـ انتقلت زعامة الفرقة إلى عبد الله بن إباض[3] ، الذي انفصل عن الخوارج [4] سنة 65هـ ، و مكث بالبصرة مع أصحابه بعد خروج المتطرفين منها ، يذكر هذه الحادثة عبد الله بن إباض نفسه في الرسالة التي كتبها إلى عبد الملك بن مروان... ، و هكذا بدأت الفترة الأولى من الإباضي (المسماة بمرحلة الكتمان) فيكون – إذن – مكوث عبد اللهبن إباض و من معه بالبصرة مؤشرا حقيقيا لتبلور الآراء الإباضية و تميزها عن غيرها من المتطرفين الخوارج ، ومن ثم يمكن اعتبار هذه الحادثة من الناحية التاريخية سببا مباشرا لظهور فرقة الإباضية . و ينبغي أن يذكر هنا أن التأسيس الحقيقي للفرقة كان على يد جابر بن

---

1 – استشهد سنة 61 هـ

2 – د/ عوض محمد خليفات : الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ، ص 05

3 – إن عبد الله بن إباض الذي تنسب إليه الإباضية توفي في أواخر حكم عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ) ، و نسب إليه المذهب لأنه كان أكثر ظهورا في الميدان السياسي في الدولة الأموية .

بحاز إبراهيم بكير : الدولة الرستمية ، ص 74–75

و عدون جهلان : الفكر السياسي عند الإباضية ، ص 32

4 – هم أتباع نافع بن الأزرق حسب نظر الإباضية .

عدون جهلان : م س ، ص 32

زيد الأزدي العماني ، الذي انظم إلى جماعة أبي بلال مرداس بعد مجيئه إلى البصرة ، فكان لانضمام جابر إلى هذه الجماعة أثر بالغ في نشأة الإباضية و تحديد معالمها و أفكارها ، و هكذا آثرت هذه الجماعة الدخول في الكتمان ، و اجتهد الإمام جابر بن زيد في نشر دعوته سرا حتى لا يتعرض لكل ما يؤذيه و يبيد أتباعه، و هذا ما شجع المعتدلين من بقية المحمكة على الالتفاف حوله و الاستزادة من علمه ، و لم يلبث أن أصبح رئيس الجماعة و المؤسس الحقيقي للحركة ، وحظي بمكانة عالية وثقة واسعة في مجتمع البصرة بفضل علمه و موقفه الاعتدالي، إذ أقام اتصالات أخوية مع والي العراق الحجـــاج بن يوسف الثقفي (65 – 95 هـ) ، و كان في غاية من الثقة و الود المتبادل [1].

إن ظهور الإباضية و نشأتها تعود جذورها إلى التجمع العام لطائفة المحكمة في النهروان بعد الذي حدث في وقعة صفين من تحكيم الحكمين ، و قد رفعت هذه الطائفة شعارها " **قبلت الدنية و لا حكم إلا لله** " [2] . أما ظهور الإباضية كفرقة مستقلة بآرائها ، معينة بأتباعها و أعلامها ، فكان ذلك تدريجيا ، و في مراحل بقيت

---

1 – الشماخي ، السير ، ج1 ص 70

2 – يذكر الباحث عدون جهلان أن هذه العبارة منقولة عن علي يحيى معمر في كتابه : الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ص 388 . و كذا ظافر القاسمي في: نظام الحكم في الشريعة، ص301 . و أيضا فرحات الجعبيري في : نظام العزابة عند الإباضية، ص18. و كذلك عند عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ص05 . وصالح بن أحمد الصوافي: الإمام جابر بن زيد العماني، ص196

عقدا من الزمن انتهى بإعلان عبد الله بن إباض صراحة رفضه الخروج من البصرة مع المتطرفين من الخوارج و ذلك سنة 65هـ[1] ، فكانت هذه الحادثة – إذا كما ذكرنا – الإعلان الرسمي لظهور الإباضية و تميزها عن بقية المذاهب [2].

إن الإباضية إلى يومنا هذا يعتبرون جابرا إمام مذهبهم و خليفته في الكتمان تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، و هذا بدوره كان شيخ الربيع بن حبيب واضع مسند الإباضية في الحديث النبوي . و لما توفي الإمام جابر بن زيد سنة 93هـ ، خلفه – إذن – تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي عرفت الحركة الإباضية في عهد الطويل نظاما دقيقا ، و استطاع أن يبث الدعاة في المشرق و المغرب ، و في عهده خرج سلمة بن سعيد من قبله إلى المغرب يدعو للإباضية ، و في سنة 135هـ خرجت إلى البصرة البعثة العلمية المغربية المعروفة عند الإباضية بـ "**حملة العلم**" [3]، و تتكون من أشخاص هم : عبد الرحمن بن رستم و عاصم السدراتي و إسماعيل بن درار الغدامسي و أبو داوود القبلي النفزاوي ، و قضوا مع شيخهم أبي عبيدة خمسة أعوام تلقوا فيها علوم المذهب في كتمان و سرية تامة، و لما هموا بالرجوع إلى وطنهم بالمغرب انضم إليهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني ،

1 – عدون جهلان : م س ، ص 32

2 – نفسه ، ص 34

3 – بحاز إبراهيم بكير : م س ، ص 76 و ما بعدها

و عدون جهلان : م س ، ص 44

وكان قد قدم إلى البصرة في عدد من أهل اليمن حيث التقوا ببعثة أهل المغرب وتلقوا العلم في فترة واحدة من شيخهم أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة . و هكذا زود حملة العلم شيخهم بالمعلومات الضرورية لظهرو مذهبهم و خروجه من طور الكتمان إلن أنسوا من أنفسهم قوة[1].

و لما وصلوا إلى المغرب سنة 140هـ يبدو أنهم وجدوا المذهب الإباضي منتشرا في المغرب الأدنى خاصة و ذلك بجهود سلمة بن سعيد الذي يجهل كل شيء عن نهايته ، الأمر الذي دفعهم إلى مبايعة أبي الخطاب بالإمامة في نفس العام ، وكانوا من القوة و الكثرة بحيث استطاعوا أن يدخلوا طرابلس ، و يطردوا منها عاملها سنة 140هـ[2] . إلا أن المنصور كتب إلى محمد بن الأشعث يأمره بالسير بنفسه إلى المغرب ، و تروي المصادر التاريخية أن الجيشين التقيا ، و كانت هزيمة ابن الخطاب عبد الأعلى بن أبي السمح الإباضي شنيعة ، فقتل هو و أتباع له كثيرون ، و توجه من بقي منهم نحو عبد الرحمن بن رستم الذي هرب من طرابلس ودخل القيروان خائفا يترقب ، و بعد ذلك توجه عبد الرحمن بن رستم نحو المغرب الاوسط و تداعت القبائل البربرية الإباضية إلى الهدوء و الكتمان بعد الثورة و

---

1 – لقد كانت مدرسة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عبارة عن سرداب سري و كان الشيخ يعرف بالقفاف لتظاهره بصناعة القفاف أثناء إلقاء دروسه السرية و تظاهر تلامذته بتعلم الصنعة منه.

الشماخي : السير ، ج1 ص 78

2 – بحاز إبراهيم ، م س ، ص 75 و ما بعدها

الظهور ، وبقيت على ذلك ردحا من الزمن ، و هكذا تتجه الأنظار إلى عبد الرحمن بن رستم الأمر الذي شجعهم لما كثر عددهم في منطقة معينة محدودة على بناء مدينة تأويهم و تحميهم و تكون حصنا لهم و للإمامة التي بداوا يفكرون في إعلانها ، فكانت دولتهم التي تم تأسيسها في سنة 160هـ ، و كان أول إمام لها عبد الرحمن بن رستم على رأس قيادة الدولة و مؤسساتها و أهلها ، تطبيقا للمبادئ و التصورات و الأفكار الإباضية [1] . و هكذا استمرت هذه الدولة أكثر من قرن و ثلث القرن (160 – 296هـ) ، حكمها أئمة تميز بعضهم بالقوة و منعة و الحنكة السياسية ، كالإمام المؤسس عبد الرحم بن رستم (160 – 171هـ) الذي وضع أركان الدولة و نظم إدارتها ، و بلغت الدولة عند ابنه عبد الوهاب (171 – 208هـ) أوج قوتها ، وأقصى حدودها ، كما حاولت عموما أن تنشر الإسلام و تثبت أسسه بين المغاربة ، و تنشر اللغة العربية بينهم – كذلك – قراءة و كتابة و تواصلا ، مع محاولة الربط الدائم بين عموم المسلمين في المشرق و المغرب[2].

1 – انظر تفصيل ذلك في بحاز إبراهيم بكير : م س ، ص 66 و ما بعدها

2 – بحاز إبراهيم بكير : م س ، ص 199 و ما بعدها

المعتزلـــة

أصل تسمية المعتزلة

لقد اختلف المؤرخون و الباحثون حول أصل هذه التسمية " فيذهب البعض إلى أن اسم الاعتزال أطلق عليهم من أهل السنة فلزمهم ، و يذهب البعض الآخر إلى أن المعتزلة اختاروه لأنفسهم لأنهم اعتزلوا الفتنة ، أو لأنهم كانوا يعتزلون الناس للعبادة و الزهد"[1] ، لكن منهم من يرجعه إلى اعتزال واصل بن عطاء لحلقة الحسن البصري ، ثم انضمام عمرو بن عبيد إليه "بعد جدل و مناظرات – و كان أعظم علماء مدرسة الحسن البصري فقها و فلسفة ، و أكثرهم زهدا وورعا ، و التالي في الترتيب للحسن – و انظم معه و بعده كثيرون ، حتى لقد مثل انشقاقا في صفوف أصحاب الحسن .. و الانشقاق هو ، بالنسبة لأصحابه : اعتزال عن الأصل ، وهكذا سمي هذا الكيان الجديد الذي تبلور في إطار تيار العدل و التوحيد بالمعتزلة ، لانشقاقهم – اعتزالهم – عن التيار العام الذي ظلوا على علاقات وثيقة به" [2].

1 – أبوالقاسم البلخي ، القاضي عبد الجبار ، الحاكم الجشمي : فضل الاعتزال و طبات المعتزلة ، ص12

2 – د/ محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامي ، ص46

و عن أبي الحسين الطرائفي الدمشقي (377هـ أو 379هـ) أن أصل المعتزلة هم أولئك الذين كانوا من شيعة علي رضي الله عنه ، فلما تخلى الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية ، اعتزلوا الناس و انقطعوا لمساجدهم و عبادتهم .

" و لقد قال بعض المستشرقين أنهم سموا معتزلة لأنهم كانوا رجالا أتقياء متقشفين ضاربي الصفح عن ملاذ هذه الحياة ، و كلمة معتزلة تدل على أن المتصفين بها زاهدون في الدنيا "[1].

نشأة المعتزلة

هناك روايات عديدة حول نشأة هذه المعتزلة ، و هي تؤدي إلى القول بنظريتين أساسيتين ، أحدها تجعل النشأة سياسية و الأخرى تعتبرها دينية .

– النشأة السياسية ، و فيها ثلاثة آراء مختلفة :

* الرأي الأول : يرى أن الاعتزال كان من قبل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (ت 55هـ / 674م) ، و جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمر و أسامة بن زيد،

1 – محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص 133

و هذا لما اعتزلوا الفتنة و لم يشتركوا في الحرب مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أو ضده [1].

* الرأي الثاني : أن الاعتزال كان من قبل جماعة اعتزلوا الحسن ن علي رضي الله عنهما لما تخلى عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه و بايعه [2] .

* الرأي الثالث : أن أولمن قام بالاعتزال بعد سعد ، أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (ت 99هـ / 717م) .

– النشأة الدينية ، و فيها آراء :

* الرأي الأول : يرجع أصل الشأة إلى واصل بن عطاء (131هـ / 748م) إثر الانفصال عن حلقة الحسن البصري و الاختلاف حول مرتكب الكبيرة[3] . فقال واصل بن عطاء بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ، و به سميت المعتزلة .

* الرأي الثاني : الذي انفصل عن حلقة الحسن البصري هو عمرو بن عبيد ، مع أصحاب له ، فسموا المعتزلة [1] .

---

1 – النوبختي : فرق الشيعة ، ص5

2 – الملطي : التنبيه و الرد على أهل الأهواء ، ص 36

3 – المسعودي : مروج الذهب ، تحقيق محمد محيي الدين ، ج 4 ص 104

و به قال كذلك : البغدادي (الفرق بين الفرق ، ص 17–18) ، الشريف المرتضى (غرر الفوائد و درر القلائد ، المعروف بـ : أمالي المرتضى ، تحقيق محمد أبو الفضل ج 1 ص 167) ، الشهرستاني (الملل و النحل ، ج 1 ص 48)

و عند الدكتور عبد المجيد حمدة أن نشأة الاعتزال سياسية عقائدية ، فقد كانت موقفا حياديا من الفتنة و محاولة توفيقية للخروج من الصراعات المذهبية ، و ذلك بإيجاد موقف سياسي ديني وسط بخصوص مرتكب الكبيرة ، إذ جعلوه في في منزلة بين المنزلتين ، فأعطوا مضمونا مستحدثا لمصطلح الفاسق ، و قرروا بأن أحد الأطراف المتصارعة من غير تحديد و بذلك ضمنوا لأنفسهم الأمن و التعاون مع أي نظام مهما يكن منزعه ، و هم من هذه الناحية يشبهون المرجئة الذين حكموا بإيمان كل الأطراف المتصارعة ، طلبا للأمن و تبريرا لأي سلطة قائمة [2].

أسماء المعتزلة

سميت المعتزلة بأسماء كثيرة ، منها ما أطلقه غيرها عليه ، و منها ما سمت هي به نفسها ، و لعل أشهرها [3] :

- المعتزلة : و قد سبق ذكر سبب هذه التسمية .

---

1 - جيتنجن :عيون الأخبار ، ص243 . ابن قتيبة : المعارف ، ص279

2 - د/ عبد المجيد حمدة : المدارس الكلامية ، ص160-161

3 - عواد بن عبد الله المعتق :المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، ص22 و ما بعدها

– الجهمية : و ذلك أن المعتزلة وافقوا الجهمية (فرق تنسب إلى جهم بن صفوان ، و هي فرقة كانت أسبق في الظهور من المعتزلة) في آراء و مسائل كثيرة ، فجعلوهما كالفرقة الواحدة .

– القدرية : و ذلك لأنهم نفوا القدر من الله ،و قالوا بحرية الإنسان و أنه يصنع قدره بيده ، يقول البغدادي " و قد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم و أنه ليس لله عز و جل في أكسابهم و في أعمال سائر الحيوانات صنع و لا تقدير" .

– الوعيدية : سماهم به أحد المرجئة في شعر قاله في هجاء أبي هاشم الجبائي ، و سموا بذلك لقولهم بالوعد و الوعيد ، و هو أحد أصولهم المعروفة عنهم .

– المعطلة : أطلق أولا على الجهمية لأنهم عطلوا صفات الباري عز و جل ، يقول الشهرستاني : "إن من معاني التعطيل : تعطيل ظواهر الكتاب و السنة عن المعاني التي تجدل عليها"، ثم أخذ المعتزلة ذلك عنهم فلزمهم الاسم هم أيضا .

– أهل العدل و التوحيد (أو العدلية) : أطلقوه هم على أنفسهم لما له من معنى حسن ، و لأنه مشتق من قاعدتين من قواعد الاعتزال التين تدور حولهما كثير من تعاليمهما ، وهما : أصل العدل و أصل التوحيد .

– أهل الحق ، و الفرقة الناجية ، و المنزهون الله عن النقص ، و ذلك أنهم يعتبرون أنفسهم على الحق ، و من سواهم على الباطل .

قادة الاعتزال

لقد اشتهر المعتزلة بالتعمق بالتعمق في اللغة و امتلاك الأساليب البيانية و البلاغية ، فكان منهم جلة من البلغاء و الخطباء الجهابذة ، و المناظرون الأقوياء المتميزون بفصاحة اللسان و حضور البديهة ، و سعة المعرفة ، و قوة الحجة ، و قد تصدى المعتزلة لجادلة اليهود و النصارى و المجوس ، و ردوا مقالات الجبرية ، و ناقشوا مختلف المدارس الكلامية الإسلامية ، و اعتبروا أشد المسلمين دفاعا عن الإسلام و حمية على مخالفيه[1] .

و يذكر أبو القاسم البلخي[2] أن أرباب الاعتزال و مؤلفوا الكتب كثيرون ، نذكر منهم:

– واصل بن عطاء ، عمرو بن عبيد ، أبو الهذيل محمد بن هذيل العلاف ، أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، معمر بن عباد السلمي ، هشام بن عمرو الفوطي،

---

1 – د/ عبد المجيد حمدة : المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية ، ص159 . نقلا عن : نيبرج : مقدمة كتاب الانتصار و الرد على ابن الراوندي للخياط ، ص (غير مذكورة) .

2 – أبو القاسم البلخي : فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة ، ص64 و ما بعدها

أبو سهل بشر بن المعتمر ، أبو معمر ثمامة بن الأشرس ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، بشر بن خالد ، علي الأسواري ، أبو موسى عيسى بن صبيح ، جعفر بن حرب ، جعفر بن بشر ، قاسم الدمشقي ، أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي ، عيسى بن الهيثم الصوفي ، أبو شعيب الصوفي ، أبو يعقوب الشحام ، أبو زفر ، و محمد بن سويد ، و أبو الطيب البلخي ، و محمد بن علي المكي ، أبو الحسن الخياط ، أحمد بن علي الشطوي ، أبو بكر محمد بن سعيد بن زرعة ، أبو علي الجبائي ، و مويس بن عمران ، و محمد بن شبيب ، و أبو الأسود الدؤلي، ثور بن زيد الدؤلي ، و بشر بن عتاب و منهم وهب بن منبه ، و معبد الجهني ، مكحول بن عبد الله الدمشقي ، أبو سنان عيسى بن سنان ، أبو داوود النخمي .

أما القاضي عبد الجبار[1] فيحدد طبقات للمعتزلة في كتابه فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة و مباينتهم لسائر المخالفين ، و يحدد لكل طبقة مجموعة من الأعلام ، و كان عدد الطبقات التي ذكرها عشر طبقات.

1 – القاضي عبد الجبار : كتاب فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة و مباينتهم لسائر المخالفين ، ص 214 وما بعدها

فرق المعتزلة

إن أفكار الاعتزال التي أخذت عن قادتهم تشعبت و اختلفت ، فافترقت المعتزلة من جراء ذلك إلى أكثر من عشرين فرقة ، يقول البغدادي : "إن كل فرقة منها تكفر سائرها"[1] ، و القاسم المشترك الذي لابد منه فيمن يمى معتزليا يتمثل في القول بالأصول الخمسة ، كما ذكرها أبو الحسن الخياط في كتابه "الانتصار" .

و لقد ذكر منها الشهرستاني في "الملل و النحل" ما يلي [2] :

– الواصلية : أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال .

– الهذيلية : أصحاب أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ امعزلة ، و مقدم الطائفة ، و مقرر الطريقة و المنظر عليها ، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل ، عن واصل بن عطاء .

---

1 – البغدادي : م س ، ص 24

2 – الشهرستاني : الملل و النحل ، ص 40 و ما بعدها .

يقول عبد القاهر البغدادي أنها افترقت إلى عشرين فرقة : "و هذه أسماء فرقها : الواصلية ، و العمروية ، و الهذلية ، و النظامية ، و المردارية ، و المعمرية ، و الثمامية ، و الجاحظية ، و الخابطية ، و الحمارية ، و الخياطية ، و الشحامية ، و أصحاب صالح قبة ، و المريسية ، و الكعبية ، و الجبائية ، و البهشمية المنسوبة إلى هاشم بن الجبائي ، فهي ثنتان و عشرون فرقة ، ثنتان منها ليستا من فرق الإسلام ، و هما الخابطية و الحمارية " .

عبد القاهر البغدادي : م س ، ص 24

– النظامية : أصحاب إبراهيم بن يسار النظام ، و قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة، و خلط كلامهم بكلام المعتزلة ، و انفرد عن أصحابه بمسائل .

– الحابطية : أصحاب أحمد بن حابط ، و كذلك الحدثية أصحاب فضل بن الحدثي، كانا من أصحاب النظام ، و طالعا كتب الفلسفة أيضا ، و ضما إلى مذهب النظام أمورا أخرى .

– البشرية : أصحاب بشر من المعتمر كان من أفضل علماء المعتزلة ، و هو الذي أحدث القول بالتولد وأفرط فيه ، و انفرد عن أصحابه بمسائل .

– المعمرية : أصحاب معمر بن عباد السلمي و هو أعظم القدرية في تدقيق القول بنفي الصفات ، و نفي القدر خيره و شره من الله ، و التكفير و التضليل على ذلك ، و انفرد عن أصحابه بمسائل .

– المردارية : و هم أصحاب عيسى بن صبيح المكنى بأبي الموسى الملقب بالمردار، و قد تلمذ لبشر بن المعتمر و أخذ العلم منه ، و تزهد و يسمى راهب المعتزلة ، و انفرد بمسائل .

– الثمامية : أصحاب ثمامة بن أشرس النميري ، كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس ، و له مسائل انفرد بها .

– الهشامية : أصحاب هشام بن عمرو الفوطي ، و مبالغته في القدر أشد و أكثر من مبالغة أصحابه .

– الجاحظية : أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ ، كان من فضلاء المعتزلة ، والمصنف لهم ، طالع كثيرا من كتب الفلاسفة ، و خلط و روج بعبارته البليغة وحسن براعته اللطيفة ، و انفرد بمسائل .

– الخياطية : أصحاب أبي الحسن بن عمرو الخياط أستاذ أبي القاسم بن محمد الكعبي ، و هما من معتزلة بغداد على مذهب واحد ، إلا أن الكعبي خالف شيخه في مسائل .

– الجبائية و البهشمية : أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي و ابنه أبي هاشم عبد السلام ، و هما من معتزلة البصرة ، انفردا عن أصحابهما بمسائل ، ثم انفرد كل منهما عن الآخر بمسائل .

أصول المعتزلة

قد تختلف الفرق المعتزلية في بعض فروعها و قد تتفق ، لكن الأصول الجامعة لمذهبهم متفق عليها بينهم جميعهم ، هذه الأصول خمسة ، و هي :

- الأصل الأول : التوحيد

و هو أهم الأصول التي ميزتهم و أبرزت خصائص مذهبهم ، توحيد الله ، دعامة الإسلام و الإيمان ، و هو قاسم مشترك بين المسلمين عموما ، إلا أن المعتزلة رتبوا على هذه الدعامة العامة فهوما و أحكاما انفردوا بها عن جمهور المسلمين ، و هي:

* نفي صفات المعاني* عن الله عز و جل ، و لكنهم نسبوا إلى الله عز و جل آثار هذه الصفات ، بكونه سميعا بصيرا عليما ... ، أي أن الله تعالى يعلم دون أن تحقق له صفة اسمها العلم ، و يقدر دون أن تسند له صفة اسمها القدرة ، و هكذا .

و الذي حملهم على ذلك ، تصورهم بأن نسبة صفات المعاني لله تعالى تستلزم القول بتعدد القدماء ، و هذا ما ينافي توحيده عز و جل . و هذا الأمر فيه تمحل و يرفضه العقل و العلم ، فالثقة معنى لا يقوم بذاته و لا وجود له إلا بوجود من يتصف به ، فصفة العلم – مثلا – ليست شيئا قائما بذاته حتى يستلزم وصف الله به القول بقديم آخر غيره يقوم إلى جانبه أو يتلبس به ، فهي معنى من المعاني لا تتجلى إلا في عالمية الله تعالى و كونه عليما ، و كذلك باقي الصفات . و لقد نسب القرآن – و هو كلام الله تعالى – إليه سبحانه صفة "العلم" بوصف كونه عالما أو

* و صفات المعاني هي : السمع و البصر و الكلام و القدرة و الإرادة و العلم و الحياة .

عليما ، و العلم من صفات المعاني كالسمع و البصر..، فإذا أثبت القرآن صفة "العلم" لله تعالى فلم يبق موجب لحجب بقية صفات المعاني عنه .

* نفي إمكان رؤية الله تعالى يوم القيامة ، لأنها تستلزم – عندهم – صفة الجسمية و كونه في جهة ، و هذا ينافي مقتضيات التوحيد ، إذ من معاني توحيده نفي المماثل و المشابه له .

و هذا تنطع تأباه قواعد النظر و البحث ، كما يتعارض مع نصوص كتاب الله تعالى، إذ : ليس بالضرورة أن تكون بجارحة ضعيفة ، بل بالإمكان أن تكون لها قوة تتجاوز القوانين الدنيوية . و لا سبيل إلى تأويل الآيات المثبتة لرؤيته تعالى ، حيث يحجب عن قوم بالسخط عليهم ، و يتمتع آخرون بالنظر إليه رضى و محبة .

* زعمهم أن كلام الله مخلوق ، و أنه ليس إلا هذا الذي يخلقه الله تعالى على الشفاه عند تلاوته ، فقالوا : ليس له إلا هذه الألفاظ المنطوقة من قبلنا ، وهي مخلوقة . فليس له – تعالى – ما يسميه جماهير المسلمين الكلام النفسي ، الذي هو به عز و جل آمر و ناه و مخبر ، و الذي تدل عليه ألفاظ القرآن المتلوة ، و لقد حملهم على ذلك هو نفسه ما حملهم على نفي صفات المعاني ، و هو وجود قدماء معه .

و الحقيقة أن خلافهم هنا مع أهل السنة و الجماعة خلاف لفظي ، فهم يثبون ما يسمى عند الجمهور بالكلام النفسي ، و لكنهم يرجعونه في الحقيقة إلى صفة العلم ، إن كان مدلوله خبرا و إلى صفة الإرادة إن كان أمرا أو نهيا ، و عندهم الإرادة والأمر معنى واحدا . و هذا التخريج غير صحيح ، إذ ليس الإخبار داخلا في كل حال في صفة العلم ، فإن الرجل قد يخبر عما لا يعلمه ، بل يعلم خلافه أو يشك فيه ، كما قال صاحب المواقف "العضد الأيجي" ، و كذلك الأمر الذي هو الكلام النفسي قد يأمر المتكلم بأمر و لا يريده .

- الأصل الثاني : العدل

كل الفرق الإسلامية و المسلمين عامة ، متفقون أن الله تعالى عادل ، و أنه لا ينسب له عكس ذلك ، غير أن المعتزلة انفردوا بآراء ألزموها لهذا الأصل :

* العدل يتوقف على أن الله تعالى لا يحب الفساد ، فهو لا يأمر إلا بما فيه الصلاح و الخير .

* أن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد ، فالعبد هو الذي يخلق أفعاله بنفسه .

* لا يأمر الله تعالى بما لا يريد ، فحيث أن الله أمر بشيء فهو له مريد ، إذ لا انفكاك بين الإرادة و الأمر ، فهو ولي كل حسنة أمر بها و بريء من كل سيئة نهى عنها .

لقد رد أهل السنة على قولهم هذا :

* فمناط التكليف هو الكسب الذي وهبه الله عز و جل للإنسان ، و هو الانبعاث الذاتي عن طريق الإرادة إلى الفعل ، فبه يستأهل الأجر أو العقاب ، أما الفعل فيخلقه الله بقدرة تنفيذية تنبت في أعضائه و أعصابه و أوصاله ، تحقق ما اتجه إليها كسبه بمحض إرادته و اختياره ، و ليس في هذا أي ظلم أو تعسف : ﴿ **لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت** ﴾[1] ، ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾[2] .

إن مقومات الفعل وحدها لا تعني وجوده ، إذ هي على الرغم من خلق الله تعالى لها جميعا ، لا تتحول إلى واقع إلا بعد وجود الكسب الخفي الذي يتجه به العبد عزما و إرادة ، فعندئذ يطلق الله تعالى لأعضائه و أوصاله العنان و يخلق فيها القدرة على التحرك طبقا لأوامر القلب الذي هو مصدر الإرادة و الكسب .

---

1 – سورة البقرة ، الآية 286 .

2 – سورة المدثر ، الآية 38 .

* و قولم بأنه لا يأمر إلا بما أراد ، و لا ينهى إلا عما يكره ، فبين أمره و إرادته تلازم لا يقبل انفكاكا ، و بين نهيه و كراهيته تلازم مثله . إلا أن ما يأمر به الله عز و جل ليس هو دائما ما يريده ، إذ قد ينفك أحدهما عن الآخر ، يقول سعد الدين التفتازاني : "فإن قيل بعد تعميم علم الله تعالى و إرادته ، الجبر لازم قطعا لأنهما إما أن يتعلقا بوجوب الفعل فيجب ، أو بعدمه فيمتنع ، و لا اختيار مع الوجوب والامتناع ، قلنا : بعلم و يريد أن العبد يفعله أو يتركه باختياره ، فلا إشكال" .

* قولهم أن الله حكيم لا يفعل إلا ما فيه صلاح و خير ، فذلك منه واجب أما الأصلح ففي وجوبه منه خلاف عندهم . و الوهم في هذا : أن المعتزلة جعلوا ما سموه الصلاح أصلا منيعا في أفعال الله تعالى و أحكامه ، فكان ما اعتبروه حكمة و صالحا هو الموجه لأحكامه و أفعاله عز و جل ، و في هذا من المفاسد الشيء الكثير ، إذ يستلزم ذلك ، أولا : أن يكون الصلاح و الفساد حقيقتين قائمتين بذاتهما دون خلق الله عز و جل ، و ثانيا : أن تكون إرادة الله تعالى مشوبة بالقسر ، و ذلك نظرا إلى أن إرادته لا بد أن تكون منضبطة بالصلاح أو الأصلح ، و ثالثا : ألا تكون الحاكمية الحقيقية لله عز وجل و إنما هي لهذا الذي سموه الصلاح و الأصلح.

- الأصل الثالث : الوعد و الوعيد

إن وعد الله تعالى و وعيده نازل لا محالة ، فوعده بالثواب واقع ، و وعيده بالعقاب واقع أيضا ، و يترتب على قولهم هذا أن الله لا يغفر الكبائر إلا بالتوبة ، إذ هو صادق في وعده و وعيده .

أما جمهور المسلمين فيعتبرون مضمون الآيتين : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ، و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[1] ، ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾[2] ، وهو من جملة وصادق إخباره ، أن الله إذا تجاوز عن كل الذنوب و المعاصي أيا كانت إلا الشرك به تعالى ، فوعده الله تعالى بالمثوبة لا خلاف فيه ، و عيد الله تعالى بالعقاب ثابت في كتابه تعالى و تنفيذه يوم القيامة عائد إلى مشيئته ، و عفوه تعالى مأمول إلا أن يكونوا مشركين أو من هم في حكمهم (كالملحدين و الكتابيين) .

- الأصل الرابع : المنزلة بين المنزلتين

و هذا في حقيقة الأمر أصلهم الأول الذي انطلقوا منه .

* فتنة الأفارقة بالبصرة و الأهواز : تكفير المسلمين المرتكبين للمعاصي الكبيرة .

---

1 - سورة النساء ، الآية 48 ، الآية 116 .

2 - سورة الزمر ، الآية 53 .

* عموم المسلمين كما قال البغدادي : إن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمن (...) لمعرفته بأن كل ما جاء من عند الله حق ، و لكنه فاسق بكبيرته[1] ، وفسقه لا ينفي عنه اسم الإيمان و الإسلام ... .

* أما واصل بن عطاء فرأى أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن و لا كافر ، وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر و الإيمان ، و بعد اعتزاله مجلس الحسن البصري في سارية من سواري مسجد البصرة انضم إليه قرينه في الضلالة: عمرو بن عبيد.

- الأصل الخامس : الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

اختلفوا في هذا الأصل عن بقية المسلمين بالقول : إن النهوض بهذا الأصل واجب على جميع المؤمنين ، و ليس خاصا بفئة دون أخرى ، " إن هذا الأصل الخامس ، سلوكي أكثر من أن يكون اعتقاديا ، و لا ينطوي على خلاف ذي أهمية عند جمهور المسلمين "[2].

إن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجب كفائي ، قال صلى الله عليه و سلم "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده... ".

---

1 - كان هناك وعيدية الخوارج و المرجئة ، وقد قالوا : الكبيرة لا تضر مع الإيمان ، و العمل ليس ركنا من الإيمان

2 - د/ محمد سعيد رمضان البوطي : المذاهب التوحيدية و الفلسفات المعاصرة ، ص 88

المعتزلة في بلاد المغرب الإسلامي

يرتبط ظهور المعتزلة في بلاد المغرب بمبعوث واصل بن عطاء : الداعية عبد الله بن الحارث ، إذ كان واصل قد وجه دعاة كثيرين إلى أنحاء مختلفة من البلاد الإسلامية[1] ، و بهذا يكون الاعتزال قد ظهر في إفريقية في العقود الأولى من ق 2هـ / 8م ، إثر انطلاقته على يد واصل بن عطاء في المشرق بين سنتي : 100 و 110هـ / 718 و 728م[2] ، و قد أكدت المصادر الخاصة بتاريخ الإسلام في إفريقية و المغرب على أن الاعتزال دخل هناك في وقت مبكر جدا (كما يذكر غولد زيهر) ، و على هذا لا يكون مجيء داعية واصل بن عطاء قد تأخر عن اللحاق بداعيتي الخوارج عكرمة و سلمة بن سعيد ، و داعية الشيعة : عيسى بن محمد النفس الزكية ، و بذلك يكون هؤلاء قد تزاموا في الإقبال علاى بلاد المغرب ، مع بعثة الفقهاء العشرة لتدعيم مذهب أهل السنة ، و بهذا تواجد بإفريقية أتباع المذاهب العقائدية التي أخذت تتبلور في المشرق ، و تسابق اصحابها على اكتساب مواطن جديدة لنشر دعوتهم بها ، كما انتشر الاعتزال كغيره من الدعوات الوافدة من المشرق عن طريق الدعاة ، أو العرب المبعوثين في مسؤوليات ، أو مع حركة الجند ، و هم

---

1 – البلخي : كتاب فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة ، ص 99–100
أحمد أمين : فجر الإسلام : ص 300

2 – زهدي حسن جار الله : المعتزلة ، ص 12

بداية من العهد العباسي يأتون من العراق ، و قد شاعت في حاضرتيه ، البصرة و الكوفة ، شتى الآراء المذهبية ، و كان الغالب على هؤلاء الوافدين بهذه الآراء الجديدة انتماءهم إلى العنصر الفارسي و إلى البيوت الثرية ، و قد تسرب إلى جهات مختلفة من بلاد البربر ، فقد كان هناك جماعات قوية من أهل زناتة أتباعا لواصل[1] (الواصلية) .

و رغم أن الاعتزال كانت نشأته إسلامية (عقائديا أو سياسيا أو هما معا كما يذهب إلى ذلك د/ عبد المجيد حمدة) ، فقد اعتبر مع ذلك بدعة من قبل السنيين في المشرق و المغرب معا ، و كان ذلك بسبب تقديمه للعقل على النقل عند اختلافهما ، و في إفريقية اعتبر – كذلك – بدعـــة ، و ظاهرة غريبـــة لفظها المجتمع السني،

1 – أشار بعض المؤرخين (سنة و إباضية) إلى المناظرات التي دارت بين الواصلية و الإباضية ، و ذكر الشماخي (928هـ / 1521م) أن أهل نفوسة قاموا بمساعدة إباضية تيهرت في مناظراتهم للواصلية ، عندما تغلب الأخيرون عليهم .

الشماخي : السير ، ص 154 ... 157 و كذا ص 309

سليمان عبد الله الباروني : كتاب الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية ، القسم الثاني ، ص118

فكان أصحابها[1] ينشرون آراءهم في عزلة و في حذر و تستر مخافة مهاجمة أهل السنة .

و مما يذكر أن أهل السنة قد تعرضوا للمحن على أيدي المعتزلة : أمراء و قضاة ، في فترة اعتاقهم للاعتزال ، إذ امتحن سحنون بمحنة خلق القرآن ، إذ أقام له الأمير الأغلبي مجلسا لمناظرته في هذه المسألة ، و حضر المجلس ابن أبي الجواد – أحد شيوخ المعتزلة ، و كان قاضيا – فنصح القاضي الأمير بقتل سحنون / كما امتحن

---

1 – قاد المدرسة الاعتزالية في بلاد المغرب و في إفريقية تحديدا ابن أبي الجواد ، و كان من رجالها : أبو إسحاق المعروف بالعمشاء ، الذي كان يناظر في حلق القرآن مناظرة شديدة ، و يجتمع حوله أصحابه يجالسونه .

الخشني: طبقات المعتزلة ، ص 221 .

و من أكثر المعتزلة تصرفا في الجدل و المناظرة : أبو الفضل بن ظفر ، و محمد بن الكلاغني الذي وضع كتابا في الرد على بعض علماء أهل السنة في خلق القرآن ، و محمد المسحي ، و ابن أبي الروح الذي عني بالجدل في خلق القرآن و في الأسماء و الصفات .

الخشني : نفس المصدر .

و من أشهر المعتزلة ، القاضي أبو محرز فقد أظهر مذهبه ، و لم يخش العامة ، و كانت له حلقة يجتمع إليه الطلبة لتلقي الاعتزال منه . و منهم – كذلك – ابن الأشج ، و قد اشترك في مناظرة بعض علماء أهل السنة ، أما عنوان المعتزلة في بلاد المغرب و إفريقية بالخصوص ، فهو : سليمان بن أبي حفص الفراء (ت 296هـ / 882م) ، و قد أخذ الفراء هذا عن بشر المريسي و أبي الهذيل العلاف ، و شيوخ معنزلة آخرين ، التقى بهم لما رحل إلى العراق ، و عرف بقدرته على الجدل و المناظرو و غلوه في القول بخلق القرآن ، حتى كاد يقتل بسبب ذلك ، و له كتب في خلق القرآن ، و يذكر الخشني أن له كتابا في "مشكل القرآن" (يبدوا أنه سلخه من كتاب مشكل القرآن لقطرب النحو ي ، ت 204هـ / 822م) ، و له كتاب في أعلام النبوة . طبقات المعتزلة : ص 219 .

كما أنه – سليمان بن أبي حفص الفراء – شارك في مناظرة أهل السنة : أسد و محمد بن سحنون و غيرهما

د/ عبد المجيد حمدة ، م س ، ص 167–168–169 .

هذا القاضي – كذلك – أبا جعفر موسى الصماد حي (ت 225 أو 226هـ / 839 أو 840م) في نفس المسألة[1] .

و لما تولى سحنون القضاء تلقى الاعتزال ضربة قوية إذ كان مصير المعتزلة الابتعاد عن المساجد ، كما كان الأمر بالنسبة للصفرية و الإباضية ، و وقف سحنون من ابن أبي الجواد موقفا متشددا في قضية مالية ، و رمى به في السجن ، و كان يأمر بجلده يوميا ، حتى مات ابن أبي الجواد في سجنه ، فقيل أن موقف سحنون المتشدد كان راجعا إلى انعتزالية ابن أبي الجواد[2] . كما كان محمد سحنون ممن تولوا مقاومة المعتزلة بمناظرتهم في المجالس لتي تعقد ، و الرد عليهم بالتأليف ، إذ كتب : "الحجة على القدرية" و "الرد على أهل البدع" ، كما وضع ابن أبي يزيد القيرواني كتابا بعنوان "مناقضة رسالة البغدادي المعتزلي" [3].

و هكذا تعرض الاعتزال في بلاد المغرب إلى المقاومة من قبل أهل السنة [4] ، تمثلت في استنكار مقالاتهم ، و عدم الصلاة على أمواتهم ، و تفريق صفوفهم من

---

1 – د/ عبد المجيد حمدة : م س ، ص162–163

2 – و كان أسد قبل سحنون قد قاوم المعتزلة ، فقد نقل أنه ضرب الفراء (المعتزلي) و أدماه . نفسه ، ص164

3 – نفسه ، ص164

4 – و ممن رد على المعتزلة : أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت 302هـ / 915م) في " كتاب الاستواء" . د/ عبد المجيد حمدة : م س ، ص309 و ما بعدها . الملحق الأول .

المسجد، و الرد عليهم بالمناظرة و التأليف و تعرض المعتزلة إلى المقاومة الإباضية – كذلك – على الرغم من التقائهم معهم في مبادئ كثيرة ، إذ وقع التأثر و التأثير بين أقطابهم منذ نشأة المدرستين ، وممن رد عليهم أبو خزر (الإباضي) [1].

و رغم المقاومة فقد كان للمدرسة الاعتزالية وجود في بلاد المغرب ، إذ كثر اتباعها في فترة من فترات العهد الأغلبي ، تماما كما كان لها شأن في المشرق أيام بعض خلفاء العباسيين : المأمون ، و الواثق ، و المعتصم ، و لعل اعتناق أمراء بني الأغلب المذهب الاعتزالي و محاولة فرضه بالقوة أحد العوامل التي أدت إلى ضعف دولتهم ، و التعجيل بالقضاء عليها من قبل الفاطميين .

1 – انظر مثلا في رد المدرسة الإباضية على المعتزلة: الملحق الثاني الخاص بالرد على المعتزلة من قبل أبي خرز، د/ عبد المجيد حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، ص321 إلى ص329

المذهب الاسماعيلي

أصل الشيعة و نشأتها

تختلف رؤية الباحثين إلى أصل بداية التشيع ، فبعضهم يرجعها إلى زمن حياة النبي صلى الله عليه و سلم[1] ، حيث اجتمعت جماعة من الصحابة على تقديم علي رضي الله عنه على بقية الصحابة ، و اختاروه رئيسا لهم ، و يذكرون من هؤلاء الصحابة : عمار بن يسار و أبو ذر الغفاري و سلمان الفارسي و المقداد بن الأسود و جابر بن عبد الله و أبي بن كعب رضي الله عنهم و غير هؤلاء .

بينما يرجعها آخرون إلى خلاف الصحابة حول الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم ، فالتفت جماعة حول علي رضي الله عنه ترى أنه الأحق بالخلافة، في مقابل الجماعات التي التفت حول أبي أبكر رضي الله عنه .

و يرجعها بعض الباحثين ، و منهم المستشرق الألماني فيلهاوزن ، إلى أيام الثورة على عثمان رضي الله عنه ، بينما يرجعها آخرون إلى الموقف الذي نشأ بمقتل عثمان رضي الله عنه خاصة ، إذ خالف طلحة و الزبير في الأمر على علي رضي الله عنه ، و أبيا إلا الطلب بدم عثمان . هناك تسمى من اتبعه على أمره : الشيعة، و كان علي كرم الله وجهه و رضي عنه يدعوهم : شيعتي.

---

1 – انظر مثال ذلك في محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة و أصولها ، تحقيق : علاء آل جعفر، ص184 وما بعدها

و يذهب بعض الباحثين إلى أن الشيعة لم تظهر كمذهب إلا بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنه [1].

إن الشيعة كما يرى الإمام الشهرستاني هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص ، و قالوا بإمامته نصا ، إما جليا أو خفيا ، و اعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، و إن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده ، و قالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، و ينتصب الإمام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية. هو ركن الدين الذي لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله، و لا تفويضه إلى العامة و إرساله ، و يجمعهم القول **بوجوب التعيين والتنصيص** ، و ثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر ، و القول بالتولي، و التبري قولا و فعلا و عقدا ، لا في حالة التقية [2] ...

و عليه و من هذا الاعتبار الاصطلاحي ينبغي التسليم بأن الشيعة لم تكن ظهرت في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم أو إثر وفاته مباشرة ، أو في عصر أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، بل إلى ما بعد ذلك ، حتى ظهور الغلو على يد السبئية ، إن تجوزنا في اعتبارهم و أمثالهم فرقة شيعية..

إنه من الواضح تاريخيا أن استعمال كلمة شيعة في العهود المبكرة لم يكن قد تحدد بعد أو اختص بجماعة علي رضي الله عنه ، ذلك أن لفظة "شيعتي" الذي استعمله سيدنا علي رضي الله عنه ، قد استعمله كذلك معاوية رضي الله عنه لأتباعه، إذ يقول – كما في تاريخ اليعقوبي – لأحد أتباعه وهو بشر بن أبي أرطأة

---

[1] – أ. د / يحيى هاشم حسن فرغل : نشأة الآراء و المذاهب و الفرق الكلامية ، ص125–126
و د/ محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامي ، ص200 و ما بعدها

2 – الإمام الشهرستاني : الملل و النحل ، ج1 ص144–145

حين وجهه إلى اليمن : « أمعن حتى تأتي صنعاء ، فإن لنا بها شيعة » . فبقي هذا اللفظ يستعمل في معناه العام ، و لم يأخذ صورته الاصطلاحية الدالة على الحزب الذي يوالي عليا رضي الله عنه و بنيه – على وجه الخصوص – قبل مقتل الحسين رضي الله عنه [1].

و هكذا تكونت حقا الشيعة بعد مقتل الحسين عليه السلام و ظهرت كفرقة دينية تتدبر الأمر ، و في هذا يقول المسعودي في " مروج الذهب : « و في سنة 65 [هـ] تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين، فلم يغيثوه، و رأوا أنهم قد أخطأوا كثيرا بدعاء الحسين إياهم ولم يجيبوه، ولمقتله إلى جانبهم فلم ينصروه، و رأوا أنهم لا يغسلوا عنهم ذلك الجرم إلا قتل من قتله أو القتل فيه ، ففزعوا إلى خمسة نفر منهم سليمان بن صرد الخزاعي (...) ووصلوا إلى موضع بالعراق يقال له عين الوردة يطالبون بدم الحسين بن علي ، ويعملون بما أمر الله به ﴿ فتوبوا إلى بارئكم ... ﴾ » ، فهؤلاء الشيعة غلبت عليهم لفظة : "**التوابون**" ... و بعد مقتل المختار بن أبي عبيد الثقفي (67هـ) بالكوفة أخذت الشيعة تتكون كفرقة دينية كلامية ، تضع أصول التشيع ، و لكن لم تصل الشيعة إلى وضع مذهبها النهائي إلا في عهد إمامة جعفر الصادق رضي الله عنه [2].

---

1 – أ.د / يحيى هاشم حسن فرغل : م س ، ص 127–128
و د / محمد عمارة ، م س ، ص 199 .

2 – د. علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ج 2 ص 34–35

فرق الشيعة [1]

يقسم الشهرستاني الشيعة إلى خمسة (5) فرق كبرى ، و هي : الكيسانية ، الزيدية، الإمامية ، الإسماعيلية ، الغلاة . و يقول ما نصه : « **بعضهم** [أي فرق الشيعة] **يميل في الأصول إلى الاعتزال ، و بعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه** ».

- الإمامية (الإثني عشرية) :

و هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه و سلم نصا ظاهرا ، و تعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف ، بل إشارة إليه بالعين ، قالوا : و ما كان في الدين و الإسلام أمر أهم من **تعيين الإمام** ، فلا يجوز أن تترك الأمة هملا بمفارقة الإمام ، إذ لا بد أن يعين **شخص المرجوع إليه** ، فينص على واحد هو الموثوق به و المعول عليه ، و قد عين علي رضي الله عنه في مواضع تعريضا ، وفي مواضع تصريحا. و هؤلاء يزيدون على أركان الإسلام ركنا آخر هو: **الاعتقاد بالإمامة** [2]، أي أنهم يعتقدون أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة ، فكما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة و الرسالة ، فإنه كذلك يختار للإمامة من يشاء ، و يأمر نبيه بالنص عليه، و أن ينصبه إماما من بعده، و يضطلع بالوظائف التي كان على النبي أن يقوم بها ، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي ، فالنبي مبلغ عن الله والإمام مبلغ عن النبي ، و يتمسك الإمامية بهذا الركن تمسكا شديدا لا سبيل إلى

---

1 – الشهرستاني : م س ، ج 1 ص 145 و ما بعدها

2 – انظر تفصيل ذلك ، محمد الحسين آل كاشف الغطاء: م س ، ص 211 و ما بعدها
و أ.د/ محمد سعيد رمضان البوطي:المذاهب التوحيدية و الفلسفات المعاصرة، ص 54...56

التهاون فيه[1]. فكل إمام سابق لا بد أن ينص على اللاحق ، و هم يرون أن الإمام معصوم كالنبي عن الخطأ ، و الإمام دون النبي و فوق البشر . يقول محمد الحسين آل كاشف الغطاء : (... و الإمامة متسلسلة في اثني عشر ، كل سابق ينص على اللاحق ، و يشترطون أن يكون معصوما كالنبي عن الخطأ والخطيئة ، و إلا لزالت الثقة به ، و كريمة قوله تعالى : ﴿ إني جاعلك للناس إماما، قال و من ذريتي ، قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾[2] صريحة في لزوم العصمة في الإمام لمن تدبرها جيدا. وأن يكون أفضل أهل زمانه في كل فضيلة و أعلمهم بكل علم ، لأن الغرض منه تكميل البشر ، و تزكية النفوس ، و تهذيبها بالعلم و العمل الصالح...) [3].

فأصول الاثني عشرية إذا هي:

* ركن الإمامة: وهو الاعتقاد بالإمام أي أنه منصب إلهي كالنبوة.

* وجود اثني عشر (12) إماما مرتبين بالتسلسل المعروف عندهم و هم معصومون : (علي أمير المؤمنين / الحسن بن علي / الحسين بن علي / علي زين العابدين بن الحسين / محمد الباقر بن علي زين العابدين / جعفر الصادق بن محمد الباقر / موسى الكاظم بن جعفر الصادق / علي الرضا بن موسى الكاظم / محمد الجواد بن علي الرضا / علي الهادي بن محمد الجواد / الحسن العسكري بن علي الهادي / محمد المهدي القائم بالحجة).

---

1 – د. مصطفى الشكعة: المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر، ص 213–214

2 – سورة البقرة ، الآية 124

3 – محمد الحسين آل كاشف الغطاء : م س ، ص 212 . و قد بذل آل كاشف الغطاء مجهودات فكرية م ن أجل إثبات أحقية الشيعة في الفهم السليم للإسلام.

* من يشاركهم في أركان الإسلام يعد مؤمنا، ومن يقتصر عليها إلا الإمامة فهو مسلم بالمعنى العام ولا يخرج عن الإسلام، وتتفاوت درجات المسلمين في الآخرة.

* لا تقبل روايات الأحاديث إلا عن طريق أهل البيت عن جدهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أما الآخرون فلا اعتبار لهم في الأخذ بالحديث منهم.

* القول بالاجتهاد و أن بابه مفتوح ، و لا يأخذون بالقياس ، وعندهم إذا قيست الشريعة محق الدين.

* صلاة الجمعة معطلة إلى أن يظهر الإمام الغائب، فتصلى ظهرا، أما صلاة العيد فهي فرض.

* فرضية الزكاة و أحقية "الخمس" لآل محمد عوضا عن الصدقة المحرمة عليهم.

* بطلان إمامة الخلفاء الراشدين ، إلا إمامة علي رضي الله عنه.

* القول بالرجعة ، و هي رجعة الأئمة لنشر الهداية ، و هي عند الإمامية يقوم بها محمد المهدي القائم بالحجة.

- **الزيدية :**

و هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ساقوا الإمامة في أولاد **فاطمة** رضي الله عنها ، و لم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي ، قادر على القتال ، سليم الحواس الخمس ، فإذا خرج بالإمامة يكون إماما واجب الطاعة ، سواء كان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين ، و عن هذا قالت طائفة منهم بإمامة

محمد و إبراهيم الإمامين ابنيْ عبد الله المحض بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور و قتلا على ذلك.

إن زيدا بن علي أراد أن يحصل الأصول و الفروع حتى يتحلى بالعلم ، فتتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة ، فاقتبس منه الاعتزال ، و صار أصاحبه كلهم معتزلة..

* ترى الزيدية بأن ركن الإمامة ليس بالنص بل بتوافر الشروط ، فهي بالبيعة لا بالوراثة.

* و من مذهبهم جواز قيام إمامة المفضول مع وجود الأفضل، فقالوا : كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين الفتنة و تطييب قلوب العامة.. و على هذا كانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الأمر لمن عرفوا باللين و التودد و التقدم بالسن والسبق بالإسلام و القرب من رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فكان منهم أبو بكر الصديق الذي به هدأت النفوس و أعدمت الفتنة.. و جاء من بعده عمر بن الخطاب وهكذا.. و لذلك قالوا كذلك بأنه يجوز أن يكون المفضول إماما قائما ، فيرجع إليه في الأحكام و يحكم بحكمه في القضايا ، و على هذا كان الزيدية (زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه) لا يتبرأون من الشيخين بل يقبلون خلافتهما..

* ويقولون كذلك بجواز وجود أكثر من إمام واحد في وقت واحد..

* وجوب الخروج على الإمام الجائر و لا تجب طاعته..

* ضرورة الاجتهاد ، و إلا فإن تقليد آل البيت أولى من غيرهم..

* و يقولون بالتقية و زكاة "الخمس"..

* رفض التصوف رفضا باتا..

* تحريم زواج المتعة ، و القول بالكفاءة في الزواج و خاصة للقرشيين ، إلا إذا كان هناك رضى تام..

* رفض الصلاة خلف الفاجر..

* التشدد في مسائل الطهارة و العبادات صحة للبدن و الروح..

و الزيدية أصناف ثلاثة :

الجارودية : أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر الهمداني الأعمى الكوفي..
السليمانية : و هم أصحاب سليمان بن جرير أحد الشيعة..

البترية : أصحاب كثير النواء الأبتر (و الصالحية كذلك و لهما نفس الآراء ، فهما على مذهب واحد) [1] ..

---

[1] – و من فرق الشيعة كذلك :

– الكيسانية : و هم أصحاب كيسان ، مولى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقيل : تلميذ لمحمد بن الحنفية ، يعتقدون فيه اعتقادا بالغا ، من إحاطته بالعلوم كلها ، و اقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها ، من علم التأويل و الباتطن ، و علم الآفاق و الأنفس ، و يجمعهم القول : **الدين طاعة رجل** . حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشريعة من الصلاة و الصيام و الزكاة و الحج و غيرها على رجال، فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل ، و حمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، و حمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول و الرجعة بعد الموت ، و هكذا ... حتى قالوا : من اعتقد أن الدين طاعة رجل و لا رجل له ، فلا دين له (و علق الإمام الشهرستاني بقوله : « نعوذ بالله من الحيرة ، و الحور بعد الكور » الملل و النحل ، ج 1 ص 145) ...

- **الإسماعيلية** [1] :

و هم الذين قالوا بأن الإمامة بعد **جعفر** (جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) هو ابنه **إسماعيل** نصا باتفاق من أولاده ، إلا أنهم اختلفوا في موته في حياة أبيه ، فمنهم من قال أنه أظهر موته تقية من العباسيين ، و منهم من قال أنه مات حقا ، و النص لا يرجع ، فبقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره ، فالإمام بعده يكون **محمد بن إسماعيل** ، و هؤلاء يقال لهم **المباركية** ، ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل و قال برجعته بعد غيبته ، و منهم من ساق الإمامة في المستورين منهم ، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم و هم **الباطنية**..

والإسماعيلية الأولى التي تتحدد بعصر ميمون القداح الأول (180هـ). أهم أصولها:

* الإمامة لقب من الله ، وهي واجبة لحفظ الشريعة وجوبا أزليا في علم الله القديم.

... و من الفرق الكيسانية التي ذكرها الإمام الشهرستاني : **المختارية** : أصحاب المختار بن أبي عبيد الله ، **الهاشمية** : و هم أتباع هاشم بن محمد بن الحنفية الحارثية ، و**البيانية** : أتباع بيان بن سمعان النهدي ، و **الرزامية** : أتباع رزام... و بين هذه الفرق الفرعية آراء متباينة و متناقضة ..

و هناك الغلاة : و هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله ، و ربما شبهوا الإله بالخلق ، و هم على طرفي الغلو والتقصير ، و قد نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية و مذاهب التناسخية ، و مذاهب اليهود و النصارى ، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، و النصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام الإلهية في بعض الأئمة، و كان التشبيه بالأصل في الشيعة ، و إنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك.

1 - انظر تفصيل ذلك في د/ محمد كامل حسين : طائفة الإسماعيلية ، ص 3 و ما بعدها

* الإمامة بالعصمة اللامتناهية للإمام.

* وجود النور الأزلي الذي انتقل من نبي إلى نبي ومن إمام إلى إمام..

الاسماعيلية الثانية : و هي الإسماعيلية اللاحقة ، و قد دخلتها الأفكار الأجنبية والفلسفات الباطنية والمذاهب الفارسية..

وعليه فإن الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة أخذت أصولها المذهبية عن الأصول الشيعية التي وجدت قبل ظهور الإسماعيلية، وهذه الأصول لم تكن في أول أمرها تختلف عما ذهب إليه غيرهم من المسلمين في شيء، وكان الخلاف ينحصر في نقطة واحدة وهي **الأمامة** بعد الرسول صلى الله عليه و سلم ، ذلك أن الشيعة جعلوا الإمامة حقا شرعيا للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولأبنائه من بعده وهو منصوص عليه من الله تعالى إلى نبيه الكريم – كما ذكرنا من قبل – .

لقد بدأت الدعوة لإمامة **إسماعيل بن جعفر الصادق** بمناداة بعض أتباع **أبي الخطاب الأسدي**[1] بتقديم إسماعيل و إمامته ، و أنهم أغروا ابنه محمدا بالدعوة لنفسه بعد أبيه ، وقد ترك محمد بن إسماعيل[2] مسقط رأسه في المدينة المنورة وهاجر إلى خوزستان جنوب إيران ، ثم تركها إلى بلاد الديلم (جنوب بحر قزوين) ، حيث وجد لنفسه أتباعا و يقيم دعوة (ولعل الذين أغروه بالدعوة لنفسه هم الذين زينوا له فكرة الهجرة عساه ينجح بعيدا عن أعين الخلفاء العباسيين).

---

1 – وهو من أصحاب جعفر الصادق في البداية ، تنسب إليه الخطابية ، ويقولون بأن الأئمة أنبياء و رسل (و هي من أوائل البلايا في التاريخ الإسلامي) .

2 – نظرا إلى التفاف الشيعة حول عمه موسى الكاظم

ولم تعرف فرقة الإسماعيلية حتى أواخر **ق 3** هـ ، ذلك أن أسرة محمد بن إسماعيل (الأبناء والأحفاد) وفدت على بلاد الشام واستقرت في مدينة **"السلمية"** قرب **حمص** في هيئة تجار خوفا على أنفسهم ، و كانوا يرسلون دعاتهم إلى البلاد الإسلامية للتبشير بقرب ظهور المهدي المنتظر من **نسل إسماعيل بن جعفر الصادق** (الإمام صاحب الحق الشرعي) لقيادة المسلمين[1].

و أول حركة إسلامية ناجحة هي التي قامت ببلاد اليمن من قبل أحد الدعاة وهو **الحسين بن حوجب** الملقب بمنصور اليمن (كان أول أمره اثني عشري ، ثم أخذ العهد من أحد الأئمة المستورين في الكوفة و طلبه أن يرحل إلى اليمن) . فتم تأسيس أول دولة إسماعيلية في التاريخ سنة 266هـ.

تأسيس الدولة الفاطمية

أخذ الحسين بن حوجب في إرسال الدعاة من قبله إلى مختلف البلاد خارج اليمن، فكان منهم الداعي **أبو عبد الله الشيعي** إلى بلاد المغرب الذي أسس بها دولة الإسماعيلية (كان الإمام الإسماعيلي إذ ذاك هو **عبيد الله المهدي**[2] الذي هرب من القرامطة من بلاد الشام إلى مصر ثم سجلماسة ، و بعد أن سجنه الأغالبة و أخرجه

---

1 – لم تعرف الإسماعيلية من وفاة جعفر الصادق سنة 147هـ إلى دخول آخر إمام من أئمة الفرقة الموسوية: محمد بن حسن العسكري السرداب في 270هـ

2 – و قد تابعه القرامطة في بلاد الشام ، وهرب إلى الفسطاط بمصر ، ثم إلى بلاد المغرب ، فقبض عليه الأغالبة وسجنوه، فبلغ ذلك الداعي أبا عبد اله الشيعي فخرج إليه و أنقذه ، فركب الإمام الدابة و هو ينادي في الجموع : هذا إمامكم ، هذا إمام الحق ، هذا هو المهدي .

فخرجت الإسماعيلية من طور الستر إلى دور الظهور .

وبعد ذلك قتل الإمام عبيد الله المهدي الداعي أبا عبد الله الشيعي و أخاه أبا العباس الشيعي .

داعيه أبو عبد الله الشيعي قام بقتل هذا الأخير و تأسيس دولته التي عرفت باسم **"الدولة الفاطمية"** سنة 297هـ و عاصمتها **المهدية** ، و أخمد جميع الثورات التي قامت ضده (و أهمها الثورة التي قادها أبو اليزيد مخلد بن كيداد الزناتي الخارجي ضد الدولة الفاطمية الشيعية سنة 335هـ).

تنظيم الدولة الفاطمية [1]

بادر عبيد المهدي عقب دخوله إلى رقادة و مبايعته بالإمامة من قبل أتباعه يوم الخميس 20 ربيع الآخر 297هـ / 06 كانون الثاني 910م إلى وضع تنظيمات سياسية و إدارية و دينية تكفل لدولته الناشئة النمو و الاستقرار، و قاد الحركة الاسماعيلية ، إذ حين تسلم منصب القيادة كان يتمتع ببراعة في ممارسة الحكم، وتمكن من تركيز سلطته في البلاد ، المبنية على أساس مذهب ينكره أهل السنة ، و ترك بعد وفاته نظاما قويا متماسكا ، و مملكة هادئة مزدهرة ...

التنظيم السياسي

فمن حيث التنظيمات السياسية حدد عبيد الله المهدي في خطاب تقلد الحكم ، أنه سيكون معتدلا في سياسته ، و لكن بصرامة ، و أن رعايته ستشمل ((أشياعه من المؤمنين و جميع المسلمين ، و سيراعي أولياءه و رعاياه الأوفياء المخلصين ، و سيقمع كل من ينكث عليه ، و يخون أمانته ، و ينقض عهده)) ، كما أشار بالدعم التي حظيت به دعوته لدى ((أولياءه و أنصار حقه أولي الأنصار النافذة من سادات العرب و أنجاد كتامة)) ، ثم دعا أهل إفريقية المعروفين بمناهضتهم للمذهب الإسماعيلي إلى ((التمسك بحبل طاعته و أسباب ولايته و محبة آل البيت

[1] – د. محمد سهيل طقوش : تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية و مصر و بلاد الشام ، ص79

)) " القاضي النعمان، ص252،253 ".. و هكذا شرع الحاكم الفاطمي الأول منذ اعتلائه الحكم ، في الاضطلاع بنفسه بالمهام التي تكفل له تثبيت أقدامه في الحكم، و تأمين الهدوء ، و التوسع قي الخارج ..

التنظيم الإداري [1]

لقد اجتهد عبيد الله المهدي في تنظيم المصالح الإدارية ، فبدأ بتشكيل الهيئة الحاكمة و جماعة الحاشية و رجال القصر ، فاختارهم كلهم من بطانته التي جاءت معه من بلاد الشام ، و خصهم بتولي الأعمال ا لإدارية ، كما استعان بنفر من الآغالبة الذين مالوا للعهد الجديد ، و بجماعة من العرب الذين خدموا النظام السابق، و اتخذ موقفا متسامحا تجاه من بقي من بني الأغلب و مواليهن و رجالهم وأتباعهم، فأعاد بعضهم إلى مناصبهم سواء المدنية أو العسكرية.

و من مرافقيه و حجابه : أبو الفضل جعفر بن علي ، و أبو أحمد جعفر بن عبيد ، و ابو سعيد عثمان بن سعد المعروف بمسلم السجلماسي ، و خص أبا جعفر الخزرجي بالإشراف على بيت المال ، و أحيا ديوان الخراج الذي أحرق إثر هروب زيادة الله الثالث ، و عين عليه أبا القاسم بن القديم ، و اختار أبا اليسر ابراهيم بن محمد البغدادي الشيباني للإشراف على ديوان الكتابة ، و كان القضاء من نصيب أفلح بن هارون الملوسي، و هو من أشد المقربين لعبيد الله المهدي و على القضاء تم تنصيب محمد بن عمر المروروذي ، و كان متشيعا قبل مجيء الفاطميين... (القاضي النعمان ، ص253)

[1] – د. محمد سهيل طقوش : م س ، ص79 – 80

و أكثر هؤلاء كانوا من رجال أبي عبد الله الداعي ، و بعضهم من ترشيحه ، و أما السكة فكانت من نصيب أبي بكر الفيلسوف المعروف بالقمودي ، و كان على العطاء عبدون بن حباسة ، و أقر على عمال القيروان الحسن بن أحمد أبي خنزير.

الحالة الدينية [1]

غداة دخول عبيد الله المهدي إلى رقادة أخرج توقيعا أمر بأن يدعى به على المنابر برقادة و القيروان و القصر القديم ، كما أمر بالدعاء بعد الصلاة لمحمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة من ولده ، الذي كان عبد الله الداعي قد أمر به . و كتب كتابا آخر أرسله إلى البلدان ، أشار فيه إلى توليه الإمامة ، فحمد الله الذي ((أنجز وعده لرسوله برد إرث النبوة و مقاليد الإمامة إلى عترة نبيه)) وتلقب بلقب " **المهدي أمير المؤمنين**" (القاضي النعمان ، ص249-250).

لقد وضع عبيد الله المهدي لدولته نظاما مذهبيا يشد أزر التنظيمات السياسية والإدارية التي اتخذها ، إذ قامت الدولة العبيدية الفاطمية على أساس مذهبي متمثلا في أن آل البيت هم أحق الناس بزعامة المسلمين ، و فرض سيادتها انطلاقا من هذا الأساس ، و تحقيق المفاهيم الإسماعيلية ، و استتبع ذلك رفع شأن الحاكم الذي يمثل نواة هذا النظام بوصفه صاحب السلطة و الإمامة ، ذلك أن سلطته الدينية والدنيوية تتجاوز الإطار الضيق لمملكته ، و هو صاحب الخلافة الشرعي ، و بذلك فإن سلطته تشمل جميع المسلمين ، و أحاط شخصه بكل مظاهر التقديس والإجلال لذاته و لكافة الأئمة السابقين ، لأن الإمام الفاطمي المنحدر روحيا من الرسول خليفة

[1] – نفسه ، ص80..82

الله في الأرض، و قد اختاره الله ليقيم شريعته ويربط الصلة بينه وبين عباده ، ويترتب على الحب اللامحدود الذي يكنه لأتباعه وجوب الطاعة المطلقة له ، و الإخلاص لشخصه.

و أظهر عبيد الله المهدي التشيع الغالي حين سب الصحابة و أزواج النبي صلى الله عليه و سلم ، و زعم أن أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام ارتدوا من بعده... ثم وضع لنظامه المذهبي تعاليم تميزه عن مذاهب أهل السنة ، و من هذه التعاليم:

- تفضيل علي بن أبي طالب على سائر الصحابة ، و أنه هو أحق بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه و سلم
- توقيف صلاة التراويح في رمضان حيث عدها بدعة
- نادى بترك القياس ، مع التمسك بالقرآن ، ومع حقهم في التأويل على طريقتهم
- زاد في الآذان "حي على خير العمل ، محمد و علي خير البشر"
- أمر المؤذنين بأن يرددوا العبارة التالية : "أحياك الله يا مولانا يا حافظ نظام الدنيا (و على) آبائك الطاهرين و أبنائك الأكرمين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"...

و أخذ عبيد الله المهدي في نشر مذهبه عن طريق العنف ، و خاصة مع زعماء المالكية ، و أسس في عام 298هـ / 910م ما يعرف بـ **"ديوان الكشف"** للتحري عن المخالفين لمذهب الدولة من الفقهاء والمفتين والقضاة والمؤذنين، و أسند

رئاسة مذا الديوان إلى اثنين من أعوانه المقربين هما: أبي جعفر محمد بن أحمد البغدادي وعمران بن أبي خالد بن سلام.

إن تطرف التعاليم الإسماعيلية وجدت معارضة شديدة من جانب أهل السنة ، مما اضطر عبيد الله المهدي إلى تعديل تنظيمه المذهبي بإخفاء خصائص الدعوة الإسماعيلية عن عامة الناس ، و تأسيس معاهد لتدريسها و نشرها أطلق عليها "**مدارس الدعوة**" ، على أن تكون واسطة الاتصال بينه و بين أتباعه ، و لذلك يظهر أمام رعاياه علويا خالصا على حين يبطن المذهب الإسماعيلي و مبادئه...

وفي سنة 358هـ دخل جيوش الشيعة الإسماعيلية مصر بقيادة جوهر الصقلي، فشيدت القاهرة و بني الجامع الأزهر، و امتلك أتباعهم (أبو الحارث البساسيري قائد القوات العباسية) بغداد سنة 450هـ، و خطب باسم صاحب مصر، الإمام الإسماعيلي **المستنصر بالله** ، سنة كاملة ، و استجاب مجموعة من الأمراء (أمير واسط ، أمير الكوفة ...).

إلى أن هزمت جيوش طغرل بك السلجوقي الفاطميين ، كما ظهرت حركة الحروب الصليبية لاخذ الأراضي المقدسة في فلسطين من المسلمين.

الأئمة الإسماعيليون في عهد الظهور :

1/ عبيد الله المهدي ، صاحب الظهور بالمغرب (297هـ)

2/ القائم بأمر الله أبو القاسم محمد، تولى الإمامة سنة 322هـ.

3/ المنصور بالله أبو طاهر إسماعيل ، تولى الإمامة في 334هـ

4/ المعز لدين الله أبو تميم معد ، تولى الإمامة في 341هـ ، و فتحت مصر في 358هـ وانتقل إليها في رمضان 362هـ

5/ العزيز بالله أبو منصور نزار ، تولى الإمامة سنة 365هـ

6/ الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور ، تولى سنة 386هـ

7/ الظاهر أبو حسن علي ، تولي الإمامة سنة 411هـ

8/ المستنصر بالله أبو تميم المعد ، تولى الإمامة في 427هـ، وتوفي سنة 487هـ

المذهب المالكي

مقدمة حول التشريع و الفقه في الإسلام[1]

إن التشريع إما أن يكون وحيا إلهيا بالمعنى و اللفظ ، و ذلك يتمثل في القرآن الكريم الذي أنزله الله على رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم ، و إما أن يكون وحيا إلهيا بالمعنى دون اللفظ ، و ذلك يتمثل في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن لفظ الحديث من كلامه ، و إن كان معناه وحيا ، لقوله تعالى : ﴿ **و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾[2] ، فالله وحده هو المشرع و رسوله هو المبين لشرعه ، و قد أوجب الله طاعة رسوله لأنها من طاعته ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[3] ، و جعل حكمه عن إلهام منه ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾[4] ، فلا شرع إلا ما شرع الله أو ما شرع رسوله صلى الله عليه و سلم ، ولهذا كان للتشريع الإسلامي مصدران أساسيان : الكتاب و السنة ، و بانتهاء حياة الرسول صلى الله عليه و سلم انتهى عهد التشريع .

---

1 – مناع القطان : التشريع و الفقه في الإسلام تاريخا و منهجا ، ص 32 و ما بعدها.
و د/ عمر سليمان الأشقر : تارخ الفقه ال"إسلامي ، ص 78 و ما بعدها .

2 – سورة النجم ، الآية 4 .

3 – سورة النساء ، الآية 80 .

4 – سورة النساء ، الآية 105 .

لقد اقتضت الحاجة إلى حل ما جد من مشكلات بعد الفتح الإسلامي في عصر الصحابة إلى اتساع دائرة الفقه ، و لم يكن بد من أن يكون النظر لحل أي مشكلة جديدة في كتاب الله تعالى ، لأنه أساس الدين و وحي الله تعالى و كلامه المبين ، فإذا لم يجدوا في القرآن ، كان النظر في سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، لأنها بيان التنزيل ، فإذا وردت أقضية لا يرون فيها نصا من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه و سلم لجؤوا إلى استشارة أهل الرأي من فقهاء الصحابة ، فإذا اجتمع رأيهم على شيء كان القضاء به ، و ذلك ما يسمى بالإجماع .

و إذا كان الرسول صلى الله عليه و سلم قد أذن لصحابته في الاجتهاد أو أشار إليه – كما في حديث معاذ – فقد فقد وجه الصحابة قضاتهم هذه الوجهة كذلك ، إذا لم يجدوا الحكم في كتاب الله و سنة رسوله . في كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى شريح : "إذا وجدت شيئا في كتاب الله فاقض به ، و لا تلتفت إلى غيره ، و إن أتاك شيء ليس في كتاب الله فاقض بما سن يه رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله و لم يسن فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فاقض بما أجمع عليه الناس ، و إن أتاك ما ليس في كتاب الله و لا سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يتكلم فيه أحد قبلك ، فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم ، و إن شئت أن تتأخر فتأخر ، و ما أرى التأخر إلا خيرا لك" .

يقول ابن خلدون : " إن الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فتيا ، و لا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، و إنما كان ذلك مختصا للحاملين للقرآن ، العارفين بناسخه ومنسوخه ، و متشابهه و محكمه ، و سائر دلالته مما تلقوه عن النبي أو ممن سمعه منهم من عليتهم ، و كانوا يسمون لذلك القراء ، أي الذين يقرؤون الكتاب ، لأن العرب كانوا أمة أمية ، فاختص من كان منهم قارئا للكتاب بهذا الاسم لغرابته يومئذ، و بقي الأمر كذلك صدر الملة ، ثم عظمت أمصار الإسلام ، و ذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب و تمكن الاستنباط و كمل الفقه و أصبح صناعة و علما" .

و قد ذكر ابن القيم في أعلام الموقعين أن الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم مائة و نيف و ثلاثون نفسا ، ما بين رجل و امرأة ، و جعل منهم المكثرين و المقلين . أما المكثرون فسبعة ، و هم : عمر بن الخطاب ، علي بن أبي طالب ، عبد الله بن مسعود ، عائشة أم المؤمنين ، زيد بن ثابت ، عبد الله بن عباس ، عبد الله بن عمر ، ومن المتوسطين : أبو بكر الصديق، أم سلمة ، عثمان بن عفان ، أبو سعيد الخدري ، أبو موسى الأشعري ، جابر بن عبد الله ، معاذ بن جبل ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، عبد الله بن الزبير ، و من المقلين : أبو الدرداء ، أبو عبيدة بن الجراح ، النعمان بن بشير ، أبي بن كعب ، أبو طلحة ، أبو ذر ، صفية ، حفصة ، أم حبيبة ، و آخرون .

لقد تفرق الصحابة في الأمصار ، فحدث على إثر ذلك حركة علمية في كل مصر ، تفاوتت في منهجها بتفاوت هؤلاء الصحابة ، و تأثر تلاميذهم بهم ، و قد تمايز في هذا التفاوت منهجان :

أحدهما : منهج "أهل الرأي" ، أو مدرسة الكوفة بالعراق .

الثاني : منهج "أهل الحديث" ، أو مدرسة المدينة بالحجاز .

1/ **مدرسة أهل الرأي** : لقد أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إلى الكوفة ليعلمهم ، و كانت حركته واسعة ، و نهج تلاميذه من بعده نهجه ، فاعتبر ابن مسعود "نواة مدرسة الرأي بالعراق ، و يرجع سبب انتشارها إلى الآتي :

- تأثرهم بالصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

- قلة الحديث الذي كان في العراق مقارنة بالحجاز ، و مرجع ذلك إلى قلة الصحابة الوافدين إلى العراق .

– اتصالهم بالفرس القريبة من العراق ، مما أحذث كثيرا من المسائل الجزئية التي احتاجت إلى الرأي و القياس ، يقول إبراهيم النخعي : " إني لأسمع الحديث الواحد فأقيس عليه مائة شيء"[1] .

– كانت العراق مأوى لبعض أهل البدع كالشيعة و الخوارج ، و كانوا يضعون الحديث نصرة لبدعهم ، فلذلك كان علماء العراق يقلون من رواية الحديث و حفظه مخافة الوقوع في الأحاديث الموضوعة ، فكانت الأحاديث التي يعول عليها لديهم قليلة مما حملهم على إعمال و الفكر و القول بالرأي .

مميزات مدرسة الرأي :

– كثرة تفريعهم الفروع ، لكثرة ما يعرض لهم من الحوادث

– قلة روايتهم للحديث ، و اشتراطهم فيه شروطا لا يسلم معها إلا القليل .

2/ **مدرسة أهل الحديث في الحجاز** : كانت المدينة منزل رسول الله صلى الله عليه و سلم و خلفائه الراشدون من بعده ، فأصبحت مهد السنة و منبع الحديث ، فكان أهلها وقافين عند الآثار متمسكين بالرواية ، فأخذ من بعدهم علمهم من الصحابة الكبار.

1 – ابن عبد البر : جامع بيان العلم و فضله ، ج 2 ص 82 . (دار الفكر)

و أسباب تمسكمهم بالنص يرجع إلى :

- تأثرهم بمنهج الصحابة الذين أخذوا عنهم العلم

- كثرة الصحابة الذين بقوا في المدينة و لم يرحوا عنها .

- قلة مشاكلهم و بعدهم عن الفتن و أهل البدع و الأهواء

مميزات أهل الحديث :

- كراهيتهم لكثرة السؤال ، و حكمهم كان منصبا على المسائل الواقعة ، لا على افتراض ما سيقع

- الوقوف عند الآثار و عدم تجاوزها ، فالعلم عندهم هو الكتاب و السنة ، فإن لم يجدوا فيهما حكما توقفوا

تعريفـ المذهب المالكي

ينسب المذهب المالكي إلى الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر (نافع) بن عمرو بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث (و هو ذو أصبح) بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة[1] ، و هو بذلك يرفع يرفع إلى قبيلة الأصابح[2] من حمير في اليمن .

فالإمام مالك يمني النسب من أبيه و أمه التي تنسب هي الأخرى إلى قبيلة الأزد[3] اليمنية ، و اسمها العالية بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأزدية .

أسباب انتشار المذهب المالكي

و لقد كانت المدينة المنورة هي الموطن الذي نشأ فيه المذهب المالكي في عصر مؤسسه الإمام مالك بن أنس و تلاميذه ، و منها انتشر في الآفاق منذ عهد

---

1 – القاضي عياض : ترتيب المدارك ... ، ج 1 ص 44

د/ محمد منصور علي بلعيد : أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي ، ضمن الأعمال الكاملة لمؤتمر الإمام مالك 1435هـ / 2013م ، ص 915

2 – الأصابح قبيلة كبيرة ، و هي اليوم تتفرع إلى أربعة قبائل في مناطق مختلفة ، و أشهرها : الصبيحة ، في باب المندب غربا ، إلى قرب نافع شرقا .

الحسن الهمذاني ، الإكليل ، مجلة : محمد بن علي الأكوع ، ج 2 ص 143

3 – الأزد : تنسب إلى مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان ، يستوطن بعضها مأرب و تهامة ، و تنقسم إلى قبائل غسان و عك ، و رحل بعضها من اليمن إلى الشام بعد تهدم سد مأرب .

ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص 330

الإمام المالك شرقا و غربا و جنوبا و شمالا ، و بذلك شكلت بلاد الحجاز خلال ق 2هـ مركزا علميا لانتشار المذهب المالكي ، و منها انتشر جنوبا فوصل إلى اليمن ، مع بواكير تلاميذ مالك من أهل اليمن ، و انتشر غربا إلى مصر و المغرب الإسلامي حيث كان الأكثر قوة و حيوية ، و يعد ق 2هـ قرن انتشار المذهب المالكي في حياة مؤسسه من خلال [1] :

- عثمان بن الحكم الجذامي (ت 163هـ)

- عبد الرحيم بن خالد بن يزيد الجمحي (ت 163هـ)

و هما من أوائل من قدم بمسائل الإمام مالك إلى مصر.

و بذلك تأسست مدرسة مصر المالكية خلال النصف الثاني من ق 2هـ ، و برز من أقطابها [2] :

- عبد الرحمن بن القاسم (ت 191هـ)

- أشهب بن عبد العزيز (ت 203هـ)

- عبد الله بن عبد الحكم (214هـ)

---

1 - القاضي عياض : ترتيب المدارك ... ، ج 3 ، ص 52 ... 54

2 - القاضي عياض : م س ، ج 3 ص 363-...-368

المذهب المالكي في المغرب الإسلامي

كان للمدرسة المالكية[1] في مصر إسهاما كبيرا في انتشار المذهب المالكي إلى المغرب الإسلامي ، كونها البوابة الرئيسية لإفريقية ، فمنها انتشر الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي ، و كذلك عبرها انتشر المذهب المالكي ، – كذلك – بتأثير هذه المدرسة التي اتخذت قاعدة في الطريق إلى المدينة ، تزود منها الطلاب المغاربة و الحجاج في رحلاتهم إلى المدينة .

و كان لعامل الرحلة في طلب العلم بالنسبة لطلاب المغرب الإسلامي الذين خرجوا بأعداد كبيرة نحو المشرق (المينة) موطن الإمام مالك ، الأثر الأبرز في انتشار المذهب المالكي في بلادهم ...

و قبل دخول المذهب المالكي لبلاد المغرب كانت قد سبقته إليها مذاهب فقهية أخرى ، منها مذهب الإمام الثوري و الأوزاعي و أبي حنيفة ، يقول القاضي عياض: "أما إفريقية و ما وراءها من المغرب ، فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين"[2].

1 – محمد منصور بلعيد : أسباب انتشار المذهب المالكي ، ص916–917

2 – القاضي عياض : م س ، ج 1 ص15

لقد كان الذين في صدر الإسلام في بلاد المغرب يدينون في عقائدهم و عباداتهم و معاملاتهم حسبما أرشدهم إليه الفاتحون الأولون مما حملوه معهم من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم ، و مما تواتر عليه عمل السلف الصالح[1] ، إلى أن حل بين أظهرهم المولى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى سنة 172هـ / 788م ، فأسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى ، و ذكر لهم فضائل الإمام مالك و مزيته على العلم ، و أنه ممن روى عن والده عبد الله وحضر بيعة أخيه "النفس الزكية" بالخلافة ، و أنه كان يراه أحق بها و أجدر من أبي جعفر المنصور العباسي ، و جاءهم أيضا بالموطأ ، و قال لهم : نحن أحق باتباع مذهب مالك ، فقلده الناس و اتبعوه . و خالف في هذا صاحب رياض النفوس (المالكي) 438هـ / 1046م ، فقال فيما يرويه عن أبي سعيد بن يونس : إن أول من أدخل موطأ مالك إلى المغرب هو أبو الحسن علي بن زياد العبسي التونسي ، تلميذ مالك المتوفى سنة 183هـ / 800م ، أي بعد وفاة إدريس بست سنوات فقط .

و استمر العمل على المذهب إلى أن قدم عليهم فريق من المشرق ممن تشبع بآراء أهل العراق ، فنشر بينهم رأي الإمام أبي حنيفة ، و ما ذهب إليه أصحابه

---

1 – دون أن نذكر دور العلماء الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، سنة 100هـ إلى بلاد المغرب لتثقيف أهل البربر و تحفيظهم القرآن و السنة النبوية الشريفة و تعليمهم اللغة العربية – كما مر ذلك من قبل – ، إذ كان لهذه البعثة – كما ذكرنا – دور كبير و واضح في إرشاد أهل البربر إلى الإسلام عقيدة و شريعة و أخلاقا .

معه، و كان من بين هؤلاء الواردين من المشرق عبد الله بن عمر بن فروخ الفارسي المتوفى سنة 176هـ / 792م ، و أسد بن الفرات قاضي إفريقية و فاتح صقلية و المستشهد بسرقوسة بإيطاليا سنة 213هـ / 828 م ، و هو صاحب الأسدية المشهورة في المذهب المالكي ، و قد كان سمع الموطأ من مالك نفسه ، و ذهب إلى العراق فلقي به أبا يوسف و محمد بن الحسن ، فجمع بين فقه العراق و الحجاز ، وتولى قضاء القيروان ، فكان يقضي على مذهب أبي حنيفة ، فانتشر بسبب ذلك المذهب الحنفي في المغرب حينا من الزمن على عهد الدولة الأغلبية ، حين حكمت المغرب تحت رعاية الخلافة العباسية ما بين سنتي 184 – 296هـ.

و بعد أن تولى سحنون بن سعد القضاء في القيروان سنة 234هـ / 848م عمل على ترسيخ المذهب المالكي و قضى به ، و فرق حلق الأهواء و البدع من الجامع و شردهم ، و عزلهم من أن يكونوا أئمة للناس أو معلمين لصبيانهم أو مؤدبين ، و أمرهم أن لا يجتمعوا ، و كان سحنون أول قاض جعل في الجامع إماما رسميا يصلي بالناس ، و كان ذلك من قبل الأمراء .

و في أواخر ق 3هـ أوائل ق 10م تسلط الشيعة الإسماعيلية على بلاد المغرب، و عملوا على نشر دعوتهم و تعاليم مذهبهم و عقائدهم ، فحدثت عن ذلك فتن ومحن و رزايا عظيمة بين فقهاء المالكية و أهل الشيعة ، إلى أن جاء دور حكومة

الدولة الزيرية الصنهاجية ، فحكمت المغرب و تغير وجه السياسة ، فحصل خلاف شديد بين حماد بن بلكين أمير القلعة و بين باديس بن المنصور أمير القيروان حول الملك ، و كشف ذلك عن عداوة و شحناء ، فرفض حماد عقائد الشيعة متمسكا منه بعقائد و مذاهب أهل السنة المالكية 407هـ / 1117م ، و استمرت المعارضة المالكية تعمل في الشعب المغربي حتى تغلغل فيه المذهب السني ، فانتهزها المعز بن باديس الصنهاجي فرصة ليتخذها موقفا سلبيا تجاه الدولةالفاطمية العبيدية المتسلطة على المغرب ، فأعلن انفصالها كليا عن التبعية المفروضة عليه من قبل دولة العبيديين الشيعية ، التي كانت عاصمتها القيروان ثم القاهرة ، و تمسك بمذهب أهل السنة ، و صنع مثل ما فعل قبله حماد و سحنون ، و جمع الفقهاء حوله للمناظرة بين يديه ، ثم سألهم عن موطن الإمام أبي حنيفة ، فقيل له الكوفة ، و عن مالك فقيل له المدينة ، فقال : عالم أهل المدينة يكفينا و أمر بإخراج كل من كان في ذلك المجلس ممن كان على غير مذب مالك ، و منعهم من تعدد المذاهب خشية الفتنة و سما للخلاف ، و ذلك سنة 440هـ.

و عند الحجوي : أن المحدث أبا ميمونة دراس بت إسماعيل الجراوي الفاسي (357هـ / 967م) هو أول من جاء بمذهب مالك و بمدونة سحنون إلى مدينة

فاس ، و إلى المغرب الأقصى عامة ، و به اشتهر مذهب مالك هناك ، و كانوا قبله على مذهب الحنفية .

و يحدث المقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم" الذي وضعه سنة 375هـ / 985م عن أهل المغرب فيقول : إن أهل المغرب لا يكادون يعرفون إلا كتاب الله و موطأ مالك". و هكذا استقر المذهب المالكي في النفوس و زاد ثباتا و رسوخا في بلاد المغرب ، ولا سيما على عهد دولة المرابطين (ق 5 و 6هـ) ، و زاد انتشارا في الصحراء الجزائرية ما قام به الفقيه العالم عبد الله بن ياسين الجزولي (451هـ / 1059م) من حيث اجتهاده في نشر الإصلاح الديني و الاجتماعي و السياسي أيضا بين قبائل صنهاجة و كدالة و لمتونة و مسوفة ، حتى عم المذهب المالكي سائر أرض المغرب ، و استمر ذلك إلى أن جاء الموحدون (ق 6هـ / ق 12م) فتأرجح المذهب المالكي بين خمول و ظهور بسبب نزعة الدولة لمذهب الظاهرية كما سطره ابن حزم في كتابه "المحلى" أخذا للأحكام من ظاهر الكتاب و السنة فقط ، إذ أحرقت يومئذ كتب المالكية اهم مراجعها المتعددة ، و من حيث العقيدة كان الأخذ بما جاء به ابن تومرت من تعاليم جمعها من المشرق و أودعها كتابه " **أعز ما يطلب**" ، و جاءهم بالموطأ المعروف بـ "موطأ الإمام المهدي"... وبقي الحال على ذلك إلى أيام ملوك هذه الدولة، فأعاد القوم إلى ما كانوا عليه من مذهب مالك.

أما أهل الأندلس فقد كانوا من أول الفتح على مذهب الإمام الأوزاعي و أهل الشام إلى أوائل ق 3هـ / 908م ، إذ انطلق رجال يريدون الحج و يرغبون في الأخذ عن عالم المدينة مالك بن أنس ، منهم :

- أبو محمد عبد الله بن فروخ (176هـ)

- أسد بن الفرات (وقع شهيدا في حصار صقلية 213هـ)

- يحيى بن يحيى الليثي (234هـ) ، و سماه الإمام مالك : العاقل (عاقل الأندلس).

- عبد السلام بن سعيد المشهور بـ سحنون (238هـ)

- أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن المعروف بـ شبطون القرطبي (193هـ) ، قيل أنه أول من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس .

- عيسى بن دينار القرطبي (212هـ) ، و لقب بـ : فقيه الأندلس

فعن هؤلاء السادة العلماء دخل المذهب المالكي إلى الأندلس و انتشر في المغرب كله.

و يورد كذلك بعض المفكرين ذات السبب ، حيث يرون أن السبب الحقيقي لانتشار مذهب الإمام مالك على حساب مذهب الأوزاعي أن رجالا من المغرب كانوا يريدون الحج ، و يرغبون في عالم المدينة و إمامها مالك ، و منهم عبد الله فروخ (172هـ / 788م) ، و أسد بن الفرات المتوفى في حصار صقلية شهيدا (213هـ / 828م) ، و يحيى بن يحيى الليثي (234هـ / 835م) و عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون (238هـ / 852م) ، و عيسى بن دينار القرطبي (220هـ / 835م) ، و شبطون و هو زياد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي (193هـ / 808م) و عندها أخذوا موطأه و عرفوا آراءه و استبشروا به عندما رجعوا إلى المغرب و الأندلس ، و زينوه للأمراء الأمويين 1 ، و هكذا ساد مذهب الإمام مالك بلاد المغرب الإسلامي.

1 – عبد القادر بو عقادة : المذاهب الفقهية المندثرة و أثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة (998 للميلاد) ، ص115

المذهب الظاهري

التعريف بالمذهب الظاهري

ينسب المذهب الظاهري إلى أبي سليمان داوود بن علي بن خلف البغدادي مقاما ، الأصبهاني نسبا ، و إلى الإمام ابن حزم القرطبي ، المعروف بابن حزم الظاهري ، الذي عمق و أصل مبادئ و فقه هذا المذهب.

* داوود بن علي الظاهري (200هـ – 270هـ)

نسب أبي داوود و نشأته [1]

ولد داوود بن علي سنة 200هـ ، و تخرج على تلاميذ الإمام الشافعي ، والتقى بكثير من أصحابه ، سمع الكثير من محدثي عصره ، سواء في بغداد أو نيسابور أو غيرهما ، كان فصيحا متكلما قوي الحجة ، حاضر البديهة ، لا يهاب أحدا في إعلان ما يعتقد ، حتى وصفه أحد معاصريه بقوله : كان عقله أكثر من عمله . وكان مع ذلك كله ناسكا ، زاهدا ، ورعا ، تقيا ، و كان لا يقبل الهدايا من أي كان ، كما كان جم التواضع لا يسمو بعلم و لا نسك على غيره من الناس ، يقول أحد معاصريه : رأيت داوود بن علي يصلي ، فما رأيت مسلما يشبهه في حسن

1 – انظر تفصيل ذلك في محمد أبو زهرة: ابن حزم، حياته وعصره، آراؤه وفقهه ، ص 256..261

تواضعه . و بعد دراسته للمذهب الشافعي قرر : أن المصادر الشرعية هي النصوص فقط ، فلا علم في الإسلام إلا النص ، و أبطل القياس و لم يأخذ به . ولذا يقول الخطيب البغدادي عنه : « إنه أول من أظهر انتحال الظاهر ، و نفى القياس في الأحكام قولا ، و اضطر إليه فعلا ، و سماه دليلا » .

لقد كانت كتب داوود بن علي مملوءة حديثا ، لأن فقهه فقه النصوص بشكل عام، و فقه الحديث بشكل خاص ، و لكن لم يرو العلماء عنه إلا قليلا مع عبادته ونسكه و كونه ثقة ، و هذا راجع إلى :

- إنكار القياس جملة ، و بذلك خالف جمهور الفقهاء و أئمة الحديث .
- تصريحه بأن القرآن محدث ، مع قوله بأنه لا حرج في أن يمس الجنب والحائض المصحف الشريف ، و أن يتلو القرآن ...

انتشار المذهب الظاهري[1]

لقد انتشر القول بالظاهر (المذهب الظاهري) في بلاد المشرق في ق 3هـ، و ق 4هـ ، حتى قال أحدهم : إنه كان رابع مذهب في القرن الرابع في الشرق، و كان الثلاثة التي هو رابعها مذهب الشافعي و أبي حنيفة و

1 – انظر تفصيل ذلك في محمد أبو زهرة: ابن حزم، حياته وعصره، آراؤه وفقهه ، ص 261..267

مالـك ، فكأنــه كـان فــي الشـرق أكثـر انتشـارا و تابعـا مـن مـذهب إمـام السـنة أحمـد بـن حنبـل فـي ق 4هـ. لكـن فـي ق 5هـ جـاء القاضـي ابـن أبـي يعلـى (ت 458هـ) و جعل للمذهب الحنبلي مكانة و أحله محل المذهب الظاهري .

أمـا فـي بـلاد الأنـدلس، فقـد سـافرت طائفـة مـن علمـاء قرطبـة (و مـن هـؤلاء: بقـي بـن مخلـد (ت 276هـ) و محمـد بـن وضـاح (ت 286هـ) و قاسـم بـن أصـبغ (ت 340هـ)) إلــى بــلاد المشـرق لطلـب العلـم ، وكـان ذلـك فــي ق 3هـ ، و قـد مهـدوا لوجـود المـذهب الظـاهري بالأنـدلس ، مـن خـلال نشـرهم أحاديـث الرسـول صـلى الله عليـه و سـلم ، و نشـر الفقـه المقـارن ، و نقـل أخبـار علمـاء الفقـه المقـارن ... ثـم ظهـر علمـاء يعلنـون اختيـارهم للمنهـاج الظـاهري ، و كـان علـى رأسـهم قـاض مـن قضـاة الأنـدلس بقرطبـة و هـو منـذر بـن سـعيد البلـوطي (ت 355هـ) ، و عـن هـذا الأخيـر أخـذ ابنــه المتـوفى سـنة 403هـ هـذا المـنهج ، و فـي شـيخوخته التقـاه ابـن حـزم... لقـد كـان فـي ق 4هـ – بـبلاد الأنـدلس – علمــاء تخصصــوا فــي المــذهب الظــاهري ، مــنهم منــذر بــن ســعيد سـابق الـذكر ، و مـنهم كـذلك مسـعود بـن سـليمان بـن مفلـت الـذي تلقـى عليـه ابن حزم .

* ابن حزم الظاهري (384هـ – 456هـ)

نسب ابن حزم و نشأته [1]

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب، القرشي بالولاء ، الأندلسي الدار . و كان جده يزيد أول من أسلم من أجداده ، كما كان جده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه .

و لد بقرطبة في بلاد الأندلس سنة 384هـ ، و نشأ في جاه عريض ، إذ كان أبوه " أحمد "عالما و وزيرا من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر، و إبنه المظفر ، سجن ابن حزم مدة من الزمن بعد مقتل صديقه الخليفة المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام ، ثم كان وزيرا للخليفة هشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، ثم نبذ الوزارة و أقبل على العلم فكان حافظا لعلوم الحديث و فقهه ، مستنبطا للأحكام من الكتاب و السنة ، عارفا بالسير والأخبار ، مشاركا في المنطق ، إذ درس في أول أمره فقه المالكية و قرأ الموطأ، ثم درس مذهب الشافعي و تعصب له ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مذهب الظاهرية ، مذهب داوود بن علي بن خلف

1 – ابن حزم الظاهري : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ص 5 .. 7

الأصـــبهاني (200هـ – 270هـ) ، فنقحـــه وجـــادل عنـــه جـــدالا كبيـــرا ، و وضـع الكتـب فـي بسـطه و تفسـيره ، حتـى أنـه اتخـذ لنفسـه أقـوالا فـي المـذهب خاصـة بـه تفـرد بهـا ، كمـا ذكـر ذلـك "أبـو بكـر بـن العربـي" فـي كتابـه "العواصـم مـن القواصـم" ... و قـد عـرف ابـن حـزم بالجـدل و المنـاظرة ، فيـذكر المؤرخـون مـا كـان بينـه و بـين أبـي الوليـد البـاجي الفقيـه المـالكي مـن منـاظرات، كمـا يـذكر المؤرخون جرأته على تخطئة أعلام العلماء و الطعن فيهم بلسان حاد

صفات ابن حزم :

لقد اتصف الإمام ابن حزم بمجموعة من الصفات [1]:

- قوة الحافظة .
- البديهة الحاضرة .
- عمق التفكير و الغوص في الحقائق .
- الصبر و الجلد .
- الإخلاص و المثابرة .
- الصراحة في الحق .
- الوفاء .

1 – محمد عبد الله أبو صعيليك : ابن حزم الظاهري ، إمام أهل الأندلس ، ص 37–38 و تفصيل ذلك في محمد أبو زهرة : م س ، 64 ... 76

- الاعتزاز بالنفس من غير عجب .

- حدة الطبع

أصول المذهب الظاهري [1]

يقول الإمام ابن حزم رحمه الله : « الأصول التي لا يعرف شيء من الشارع إلا منها أربعة ، و هي : نص القرآن ، و نص كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي إنما هو عن الله تعالى مما صح عنه عليه السلام ، و نقله الثقات أو التواتر ، و إجماع جميع علماء الأمة ، و دليل منها لا يحتمل إلا وجها واحدا » .

1 – لقد فصل ذلك بإسهاب كبير الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه: ابن حزم ، حياته و عصره ، آراؤه وفقهه، ص276 ... 377

الأشعريـة

ظهور الأشعرية بالمشرق [1]

إن ظهور الأشعرية ببغداد في بداية في بداية ق 4هـ كانت استجابة لضررة حضارية في مجال لافكر العقدي، واجهت العقيدة الإسلامية وحملتها المنتمين إلى جمور المسلمين الممثلين في الفقهاء والمحدثين. فالمعتزلة التي نشأت أوائل ق 2هـ على يد واصل بن عطاء الغزال تمثل صيغة جديدة في فهم العقيدة تقوم على الحجة العقلية، وبلغت في ق 3هـ أوج قوتها، حيث استحدثت من الأساليب والطرائق في صوغ أفكارها والبرهان عليها ونشرها بين الناس ما حقق لها الغلبة في ساحة الفكر العقدي الإسلامي، ومن هؤلاء الأعلام المعتزلة: أبو هذيل العلاف (226هـ) وإبراهين النظام (231هـ) وبشر بن المعتمر (226هـ) والجاحظ (255هـ) وأبو علي الجبائي (303هـ)، أولئك الذين تقاصرت دونهم الاعتراضات مهما كان المصدر الذي تأتي منه، وقد وقع المعتزلة في شيء من المغالاة في الاعتداد بالعقل والزهادة في النص، وعلى الأخص الحديث الذي سلطوا عليه مقياسا نقديا قاسيا أفى إلى رفض كثير منه وتأويل جانب آخر منه بما يناسب الآراء التي ذهبوا إليها.

[1] – د.عبد المجيد النجار: فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب ، ص14 و ما بعدها.

و في ق 3هـ بدأت تظهر بوادر الحركة الفلسفية المتأثرة بالفلسفة اليونانية ومن أوائل روادها: الكندي (255هـ) والفارابي (339هـ)، وقد كانت نزعة تقوم على اعتبار العقل قبل اعتبار الشرع، وإخضاع النص للعقل، وبذلك كانت هذه النزعة تمثل تحديا أشد من المعتزلة في وجه المتمسكين بالنصوص من أهل السلف.

ثم يأتي التحدي الكبير للعقيدة الإسلامية عموما ولأهل السلف خصوصا متمثلا في تلك النزعة الدينية والفلسفية المضادة للإسلام التي كشفت عن نفسها واشتدت مصاولتها للمسلمين في ق 3هـ، وقد اشتركت في هذه الحملة: اليهودية والمسيحية وأديان فارس الثنوية، وعلى الأخص المانوية والمزدكية، وأديان الهند وعلى الأخص البراهمية، وكانت هذه الأدين قد اتخذت لها في الجدل أساليب وطرائق عقلية استقتها من المنطق اليوناني لسالف اتصالها بالفلسفة اليونانية.

أضف إلى هذه التحديات ما سقط فيه بعض النصيين من الوقوع في فهم حرفي ظاهري للنصوص، أدى بهم إلى السقوط في تشبيه وتجسيم غليظين في حق الذات الإلهية، وأبرزهم: الكرامية نسبة إلى محمد بن كرام (255هـ).

إن هذا الوضع الفكري الذي أسفر عنه ق 3هـ جعل أهل السلف في موقع صعب في ميدان الصراع في الفكر العقدي، فباتت بذلك الضرورة الحضارية في

مجال العقيدة ملحة أشد الإلحاح على التكيف حسب هذه البيئة في إثبات حقائق العقيدة التي فهمومها من النصوص، وفي أساليب الرد على الشبهات الواردة عليها، فكان ظهور الأشعرية ببغداد استجابة لتلك الضرورة في مجال الفكر العقدي.

وقد كانت الأشعرية مكتسبة لخاصيتها الأساسية، وللنتائج التي انتهت إليها في فهم العقيدة من طبيعة هذه النشأة التي نشأتها، وطبيعة الظروف التي أحاطت بها، وبغض النظر عن التطور الداخلي الذي طرأ على هذا المذهب، فإنه يمكن أن تجمل تلك الخاصيات في الآتي:

1- احترام النصوص واعتبارها مصدرا أولا لإفادة العقيدة، وهو ما يتضمنه قول أبو الحسن الأشعري (324هـ...): " قولنا الذي نقول به وجيانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين " الإبانة عن أصول الديانة، ص 08).

2- حمل نصوص الصفات كما جاءت مبدئيا وعدم اللجوء إلى تأويلها إلا إذا كان التأويل دافعة إليه ضرورة تنزيه الخالق عما لا يليق به (هذا التأويل حدث عند لأتباع الأشعري، أما هو فقد كان يؤمن بها على ظاهرها، وتفويض كيفتها إلى الله تعالى (الإبانة، ص09))

3- تأييد معاني العقيدة المتأتية بالنص بالبرهان العقلي الذي يقوم على كل ما عسى أن ينصر تلك العقيدة من المعطيات الطبيعية والفلسفية والمنطقية.

وقد أفضت هذه الخاصيات المنهجية إلى حصيلة من الفهم العقدي تقوم على الأصول التالية:

1- إثبات صفات أزلية زائدة على ذات الله تعالى مثل العلم والقدرة والإرادة...وما جاء في القرآن والحديث من الصفات الخبرية الموهمة للتشبيه والتجسم كالاستواء على العرش وإثبات اليد والوجه، يقع تأويله بما تدل عليه من السيطرة والقدرة والذات.

2- القرآن كلام الله قديم، وهو صفة من صفات الله تعالى (لقد فرق أتباع الأشعري بوضوح بين جانبين من كلام الله تعالى: المعنى النفسي وقالوا أنه قديم، والأصوات والحروف وقالوا إنها حادثة، والقرآن قديم بالمعنى الأول لا الثاني) وتفصيل ذلك عند الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد، ص 58 وما بعدها).

3- أفعال العباد خيرها وشرها من خلق الله تعالى والإنسان يكتسبها بالقدرة الحادثة التي خلقها الله فيه.

4- رؤية الله تعالى بالأبصار ثابتة في الآخرة.

5- مرتكب الكبيرة يظل مؤمنا، ولكنه ينال جزاءه عذابا بالنار.

6- الحوض والبرزخ والميزان والشفاعة ثابتة الوجود في اليوم الآخر.

الأشعرية بالمغرب الإسلامي

لقد كانت في بلاد المغرب مجموعة من العقائد والأفكار سواء الاعتزال أو ظاهرية النصوص، ثم ظهرت بعد ذلك وخاصة بالقيروان المقولات الأشعرية التي حملها أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله القلانسي (361هـ) فقد ذكر عنه أبو القاسم بن محمد البرزلي (844هـ) أنه كان من مشايخ الأشعرية* وبعد القلانسي هناك علم من أعلام القيروان قام بدور مهم في إدخال مبادئ الأشعرية إليها، وهو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (386هـ)، فقد كانت له رحلة إلى المشرق للحج، ولم تذكر المصادر أنه ذهب إلى بغداد ولكنه تتلمذ على كثير من المشايخ بالمشرق منهم

---

*- و نسب إليه تصورا في العقيدة يقوم على (إن الله تعالى في مكان دون مكان وأنه في السماء ...). الظاهر أن عموم المسلمين كانوا يعتقدون أن الله في كل مكان إمعانا في إثبات الحضور الإلهي المطلق، ولما نشأ النظر تمادى المشبهة والمجسمة على نفس الاعتقاد وتمادى عليه أيضا المعتزلة نفيا للجهة في حق الله تعالى، وذهب الحنابلة إلى أن الله في السماء دفعا لتواجد الذات الإلهية في الأماكن غير الشريفة، وذهب الأشعري إلى أن الله فوق االعرش بذاته وأن الله في كل مكان بعلمه، دفعا للقول بالحلول. وقد خالف أبو الحسن الأشعري ما كان يقوله الفقهاء والمحدثون السابقين بأن الله في كل مكان.

انظر عبد المجيد النجار: م س، ص22

جماعة من البغداديين كما ذكر ذلك الدباغ في معالم الإيمان ، و هناك على الأقل اثنان من مشايخ ابن أبي زيد القيرواني كانا من الأشاعرة هما أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (357هـ) وأبو بكر أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن، وقد كانت له علاقة طيبة جدا مع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد المتكلم (370هـ) تلميذ الأشعري، فقد بعث ابن مجاهد برسالة إلى ابن أبي زيد القيرواني يطلب منه إرسال نسخ من كتابيه "الرسالة" و "النوادر والزيادات" ويستجيزه روايتهما"، (كما ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك) ، كما أن القاضي أبا بكر بن الطيب الباقلاني ذكر أبا محمد في بعض تواليفه، واعتذر عنه فيما نسب إليه من إنكار الكرامات (كما ذكر صاحب معالم الإيمان) ، و قد ألف ابن أبي زيد القيرواني في الدفاع عن الأشعري، ردا على رسالة بعث بها إليه علي بن أحمد بن إسماعيل البغدادي المعتزلي، ذكر فيها الأشعري ونسب إليه ما هو بريء من، ومما قاله ابن أبي زيد القيرواني في تلك الرسالة دفاعا عن الأشعري: " هو رجل مشهور، إنه يرد على أهل البدع وعلى القدرية والجهمية متسمك بالسنن" (كما ذكر ذلك ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري).

إن كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني و في جزء العقيدة إذا تفحصنا هذا الجزء نجده من الناحية المنهجية ذا صبغة استعراضية لا أثر فيه للاستدلال العقلي،

كما أن الأفهام العقدية الواردة فيه لا تختلف عما كان مألوفا عند أهل السلف من الفقهاء والمحدثين، سواء في مسألة الصفات الخبرية، فالله تعالى " على العرش استوى وعلى الملك احتوى وله الأسماء الحسنى والصفات العلى"، أو في مسألة القرآن فهو "كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد" أو في مسألة الإيمان فهو "قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصانها". وإذا ما استثنينا قولة واحدة تتعلق بعلاقة الذات الإلهية بالمكان وهي قوله : " وأنه [أي الله تعالى] فوق عرشه ، المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه، فإننا لا نلمح في هذا الجزء العقدي من [الرسالة] خصائص الأشعرية وأفهامها العقدية، و إنما هو نفس أهل السلف السابقين من الفقهاء والمحدثين ، فلعل أشعرية ابن أبي زيد القيرواني بأكثر وضوح فيما لم يصلنا من كتبه الكثيرة (و قد ذكر صاحب معالم الإيمان قائمة من كتبه).

وفي النصف الثاني من ق4هـ ظهر القاضي أبو بكر الباقلاني (توفي في 403هـ ببغداد) و قد كان عنصرا مهما بالنسبة للأشعرية بالقيروان لسببين:

الأول: إن الباقلاني يمثل في حد ذاته مرحلة في تطور الأشعرية، فهو المؤصل الحقيقي لهذا المذهب، و هو الذي نظّر المنهج الذي وضعه الأشعري فبدأت الملامح الأساسية للأشعرية تبرز وتتضح وتنضج على يديه ، و قد عبر عن هذا

المعنى ابن خلدون حينما قال: " و أخذ عنهم (أي تلاميذ الأشعري) القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر للإمامة في طريقتهم ، فهذبها و وضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة و الأنظار... وجملت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية ".

الثاني: إن الباقلاني كان مالكي المذهب ويعتبر من أعيانه، حتى أن القاضي عياض قال فيه : " إليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته ".

و لقد كان أهل القيروان كثيرا ما يكتفون في رحلاتهم العلمية بالحجاز، فيأخذون من هناك فقه مالك، ثم يعودون، ولكن لما نشأ ببغداد هذا العلم المالكي جعلوا يشدون إليه الرحال، ومع ما يأخذون منه من فقه مالك فإنهم يأخذون عنه أيضا العقيدة على المنهج الأشعري، ولذلك فإنه منذ ظهور الباقلاني توافد عليه كثير من أهل القيروان لطلب العلم.

كما ظهر هناك علماء أشاعرة آخرون مكنوا للفكر الأشعري ببلاد المغرب، ومنهم أبو الحسن علي بن محمد القابسي (403هـ) ، فلم يكن تلميذا للباقلاني و لكنه كان من طبقته ، و لا شك أنه اطلع على أشعرية الباقلاني، و تذكر بعض المصادر

أن القابسي ألف كتابا في فضل الشيخ **أبي الحسن الأشعري**، و ذكر ابن عساكر، أن القابسي كان من أبرز أتباع الأشعري ببلاد المغرب.

و في أواخر ق4هـ بدأ تدفق تلاميذ الباقلاني الذين أخذوا عليه فقهه المالكي وعقيدته الأشعرية يصلون إلى القيروان و يستقرون بها وينشرون بها العقيدة على المذهب الأشعري، و من الذين ذكرهم ابت عساكر من تلاميذ الباقلاني أبو عبد الله الأذري ، و أبو طاهر البغدادي، فقد استقرا بالقيروان ونشرا العلم والعقيدة الأشعرية وتركوا تلاميذ كثرا مبرزين، و من تلاميذهم المبرزين في الأشعرية أبو محمد الأصيلي (392هـ) و أبي عبد الله بن عمار الكلاعي.

و كان من أبرز التلاميذ الذين تشربوا الأشعرية كذلك و أخذوها عن أهم أعلامها مشرقا و مغربا أبو عمران موسى بن عيسى الغفجومي الفاسي (430هـ) فقد تتلمذ للقابسي بالقيروان وللأصيلي بقرطبة، و للباقلاني ببغداد، ثم جلس للتدريس بالقيروان مدة طويلة ، فينقل صاحب **معالم الإيمان** عن أبي عمران أنه " تفقه عليه جماعة كثيرة كعتيق السوسي و أبي القاسم السيوري ، و جماعة من الفاسيين والأندلسيين ، و طارت فتاواه في المشرق و المغرب"، و من تلاميذه كذلك الأمير بن يحيى الصنهاجي الذي طلب إليه أن يرسل معه من يعلم قبيلته صنهاجة الدين، فأرسل معه عبد الله بن ياسين الجزولي (450هـ) الذي يعتبر مع يحيى بن إبراهيم

مؤسسا لدولة المرابطين، التي حكمت المغرب و الأندلس، و لم تقم على نفس أشعري في العقيدة ، و كان من تلاميذ أبي عمران كذلك أبو محمد عبد الحميد بن محمد المعروف بابن الصائغ (486هـ) الذي كان " فقيها نبيلا فهيما فاضلا أصوليا" والذي استقر بمدينة المهدية ، و هناك يأخذ عنه أحد أكبر أعلام المالكية والأشعرية بالمغرب ألا و هو محمد بن علي بن عمر المازري (536هـ) الذي نجده في مسائل العقيدة يقيم الحجة العقلية لتأييد ما وردت به نصوص الحديث في كتابه **"المعلم بفوائد مسلم"**، و نجده يناقش آراء سائر الفرق الأخرى فيما ذهبت إليه مخالفة لآراء الأشعرية مناقشة منطقية عقلية، فيستعمل التأويل في النص الذي يشبه التشبيه والتجسيم، مثل قوله في شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم : "... يأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها ... " يقول : " الإتيان هنا عبارة عن رؤيتهم لله تعالى".

و هكذا تشاء الأقدار أن يكون الإسهام المغربي الحقيقي في إنماء الأشعرية ونشرها نهائيا بالمغرب كاملا ، أن يكون ذلك صادرا من المغرب الأقصى على يد علمين من أفذاذ علماء العقيدة الأشعرية و هما : **أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي** (543هـ) و **محمد بن عبد الله بن تومرت** (524هـ) ، فقد ارتحل كل منهما إلى المشرق و تتلمذا على **أبي حامد الغزالي** (505هـ) وتشبعا بمنهجية هذه العقيدة وبحصيلة آرائها في المسائل الكلامية . و هكذا سادت الأشعرية بلاد المغرب و بلاد

الأندلس كذلك و عمت أفكارها بلاد الساحل الإفريقي كذلك و هي إلى زمننا الحاضر تقوم بترسيخ قيم الإسلام فهما و تنزيلا ، كما أنها تتدافع عن التعاليم الإسلامية والفكر الإسلامي من خلال علمائها ومفكريها ضد كل أفكار التغريب والتخريب.

قائمة المصادر والمراجع

***-القرآن الكريم**

الكتب :

- أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي : كتاب السير ، تحقيق : أحمد بن سعود السيابي ، 1407هـ - 1987م.

- بحاز إبراهيم بكير : الدولة الرستمية ، جمعية التراث ، القرارة ، ط2 ، 1414هـ - 1993م.

- أبو بكر ابن العربي المالكي : العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، منشورات مكتبة السنة ، القاهرة ، ط6 ، 1412هـ.

- أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي : كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق: بشير بكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1412هـ - 1994م.

- أبو بكر محمد بن الحسين الآجري : كتاب الشريعة ، دراسة و تحقيق : د/ عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن ، الرياض ، ط 1 ، 1418هـ - 1997م.

- الحسن بن موسى النوبختي : فرق الشيعة ، منشورات دار الأضواء ، ط2 ، 1404هـ - 1984م.

- د/ حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د م .

- الخطيب بن علي الحسيني : وقعة النهروان أو الخوارج ، مطبعة الحيدرى ، طهران ، 1372هـ.

- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي ، الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، علق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط2 ، 1388هـ - 1968م.
- سعد بن عبد الله أبي خلف القمي : كتاب الفرق و المقالات ، تعليق : د/ محمد جواد مشكور ، مطبوعات حيدرى ، طهران ، 1321هـ.
- أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني : كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق : إبراهيم طلاي ، د م.
- الإمام أبو العباس المبرد : أخبار الخوراج من الكامل في اللغة و الأدب و النحو و التصريف ، دار الفكر ، د م.
- عبد التواب محمد عثمان : أثر الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصـــر ، دار الحرمين ، القاهرة ، 2003م.
- أ.د/ عبد الرحمن حسين العزاوي : تاريخ الغرب العربي في العصر الإسلامي ، دار الخليج ، عمان ، ط1 ، 1432هـ - 2011م.
- عبد القادر بو عقادة : المذاهب الفقهية المندثرة و أثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة (998 للميلاد)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف د/ موسى لقبال ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر.
- عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني : الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1416هـ-1995م.
- عبد الكريم غلاب : قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1426هـ - 2005م.
- د/ عبد المجيد النجار : فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1992م.

- عدون جهلان : الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، د م.
- ابن عذارى : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب ، تحقيق : بشار عواد معروف و محمود بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1 ، 1434هـ - 2013م.
- د/ عمار طالبي : آراء الخوارج الكلامية ، الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي، موفم للنشر ، الجزائر ، 2013م.
- عواد بن عبد الله المعتق :المعتزلة و أصولهم الخمسة و موقف أهل السنة منها ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط2 ، 1416هـ - 1995م.
- د/ عوض محمد خليفات : الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ، ط3 ، 1415هـ - 1994م.
- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : الملل و النحل ، صححه : أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د م.
- أبوالقاسم البلخي ، القاضي عبد الجبار ، الحاكم الجشمي : فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة ، تحقيق : فؤاد سيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط2 ، 1406هـ - 1986م.
- القاضي عياض : ترتيب المدارك و تقريب المسالك إلى أعلام مذهب مالك ، ضبط و تصحيح : محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418هـ - 1998م.
- محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، القاهرة ، 2013م.
- د/ محمد سعيد رمضان البوطي : المذاهب التوحيدية و الفلسفات المعاصرة ، دار الفكر ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط4 ، 1435هـ -2014م.

- د/ محمد سهيل طقوش : تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية و مصر و بلاد الشام ،دار النفائس للطباعة والنشر و التوزيع ، بيروت ، ط2 / 1428هـ -2007م.
- محمد الفاضل بن عاشور : أعلام الفكر و أركان النهضة بالمغرب العربي ، دار سحنون ، تونس ، دار السلام ، القاهرة ، ط1 ، 1441هـ - 2020 م.
-- محمد عمارة : تيارات الفكر الإسلامي ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط2 ، 1418هـ - 1997م.
- محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم العكبري البغدادي الشيخ المفيد : أوائل المقالات ، تحقيق : الشيخ إبراهيم الأنصاري ، دار مهر ، ط1 ، 1413هـ .
- د/ محمود إسماعيل عبد الرازق : الخوارج في بلاد المغرب ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 1406هـ - 1985م.
- مناع القطان : التشريع و الفقه الإسلامي تاريخا و منهجا ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1422هـ - 2001م.
- منصور عبد الحكيم : ابن سبأ مؤسس الماسونية في الإسلام ، دار الفكر العربي ، دمشق ، د م .
- د/ موسى لقبال : المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1981م.
- نصر بن زاحم المنقري : وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ط2 ، 1382هـ .
- يوليوس فلهاوزن : أحزاب المعارضة السياسية و الدينية في صدر الإسلام ، الخوارج والشيعة ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1958م .

المجلات :

- مجلة الأستاذ ، أ.م.د/ عبد الرؤوف أحمد عرسان جراز : ثورات الصفرية في بلاد المغرب (122 - 143 هـ / 740 – 760م) ، العدد 223 ، المجلد الأول ، سنة 2017م / 1439هـ.

- مجلة الحوار الفكري ، د/ محمد مرغيت : البعثة العمرية و أثرها في توطين الإسلام و العروبة ببلاد المغرب الإسلامي ، مخبر الدراسات الإفريقية ، جامعة أدرار ، العدد 11 ، صفر 1438هـ - جوان 2016م.

- مجلة الموافقات ، الشيخ عبد الرحمن الجيلاني : كيف رسخ المذهب المالكي بالمغرب العربي ، المعهد الوطني العالي لأصول الدين ، الجزائر ، العدد 3 ، 1993م.